روايات غادة

يولندا راميريز

وضاع قلبها هناك

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمي للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٧٨٩٩

غادة

وضاع قلبها هناك

يولندا راميرز

كيف سينتهي الأمر بستيلا اليستير.. إنها لا تدري. كانت تقف في نافذتها ليلاً تحدق: هذه الجبال لها، هذه غاباتها.. سافيتها.. ولكن.. ماذا لو أن جاك ميتشل لا يحبها.. عندها ستكون مضطرة الى العودة الى كندا، حيث لا تعود كل تلك الأشياء سوى ذكرى.

ثم، هناك براين تراست، الذي تغيرت تصرفاته معها، بماذا يفكر؟

بين الرجلين تتعقد الأمور، وتحتار في عاطفتها.. ولكنها عندما تعود للتفكير بجاك، كل شيء ما عداه يصبح لا معنى له

- ١ -

أخذت اليانا بلومر تتفحص صديقتها الصغيرة النحيلة، وتتساءل ما يمكن أن تقوله لتقنعها أن العطلة ستفيدها. شعر ستيلا الأشقر كان يبدو كالذهب المحروق، وعيناها البنفسجيتان سوداوان تقريباً على ضوء نار المدفأة. ولكن وجهها جذاب ونحيل قليلاً، وتحت عينيها خطوط التعب والحزن.. ومع الراحة تحت الشمس وفي الهواء النقي والمحيط المريح لعطلة في الجبال، ستختفي هذه الخطوط.

وأعادت السؤال ثانية:

«ستيلا.. هل ستأتي؟».

ورفعت ستيلا اليستير عينيها المضطربتين نحو صديقتها وبعد لحظات عادت تحني رأسها.. وتبدأ في صب الشاي.. ووضعت فنجان الشاي مع طبق من البسكويت على الطاولة الصغيرة قرب اليانا، ورمت نفسها

على مقعد قرب النار.. وقالت:

«لست أدري».

«ولكنك ستحبين هذه العطلة، وأنا أعرف هذا.. أمي تريدك أن تأتي ستيلا.. إنها تحبك».

«وأنا أحبها.. إنها عزيزة، وأنا سعيدة لتحسن صحتها».

«أجل إنها أفضل حالاً. ولكنها بحاجة لتغيير الجو.. ويريدها الطبيب أن تبتعد بأسرع وقت ممكن.. وأريد أن يكون معها أحد، يا ستيلا. وإذا لم تقبلي سأضطر أن أجد غيرك».

وصمتت اليانا لترتشف بعضاً من الشاي، وتكمل:

«ستكون إجازة لك أيضاً ستيلا. أمي ليست بحاجة الى ممرضة.. فأنت قد اكتفيت من التمريض.. ما تحتاجه هو رفيق، صديق. وأنا أعرف أنها تريدك أنت».

وتمتمت ستيلا:

«ولكن كينيا بلد بعيد».

«لا تبعد أكثر من يومين بالطائرة».

«وماذا قلت إسم تلك الجبال؟».

«كليمنجارو.. جبل التنين الأبيض».

وتمتمت ستيلا مكررة بصوت منخفض:

«جبل التنين الأبيض.. يبدو مغرياً يا اليان».

«تمسكي بالفرصة إذن يا ستيلا».

ووضعت فنجان الشاي من يدها لتتقدم وتقف قرب النافذة.

«لا تزال السماء تمطر! أيمكن أن تذكري آخر يوم صيفي لنا؟ يا للسماء، إنه طقس مقرف! لولا زوجي

روبرت والطفل لذهبت بنفسي مع أمي».

واستدارت الى الغرفة من جديد لتسأل بنعومة:

«لماذا لا تريدين الذهاب ستيلا؟».

وقالت مترددة:

«هناك المنزل و..».

«ما من مشكلة.. سأتفحصه كل بضعة أيام».

«ثم.. الأملاك..».

«روبرت يديرها لك، وهو لا يحتاج الى وجودك.. هو من قال هذا، في الواقع يعتقد أن التغيير سيناسبك».

في الأساس، زوج اليانا، روبرت، هو من اقترح الفكرة.. وسألت ستيلا مترددة:

«هل هو من قال أنها فكرة جيدة؟».

«كلنا قلنا هذا. لقد مر بك أوقات صعبة في السنوات الماضية.. والداك كانا مريضان منذ مدة طويلة.. ومررت بكل ذلك التمريض والحزن.. ولا أظنك تذكرين متى ذهبت آخر مرة لاحتفال أو مسرح».

«لم أكن أرغب في الذهاب، ولم استفقد للحياة الإجتماعية».

«أعرف هذا.. ولكن آن الأوان لالتقاط خيوط حياتك من جديد. هل فكرت بما قد تحبي أن تفعلي في المستقبل؟». «لم أقرر بعد».

«ومتى أفضل من هذا الوقت لعطلة؟ ستعودين منتعشة منشطة، ومليئة الفكر بالخطط.. ألا ترين هذا يا ستيلا؟».

«يبدو الأمر رائعاً بكل تأكيد. أعلم أنني لن أستطيع الإستمرار هكذا، وإجازة ستكون رائعة لي.. ولكن..

www.elromancia.com

«سأفكر الليلة بالأمر إذن.. فنجان شاي آخر؟ وبسكويت؟».

«فنجان سريع.. ثم عليّ أن أذهب.. يا إلهي أنظري الى الساعة! إذا لم أرجع في الوقت المناسب لإطعام الطفل، فستجد أمي حفيداً متفجراً بين يديها».

وبدأت تمسح المربى فوق قطعة خبز بالزبدة.. ثم تذكرت شيئاً، فرفعت نظرها الى ستيلا.

«ستيلا! أتعلمين.. إذا ذهبت الى هناك مع أمي، فقد تلتقي بصديق قديم هناك.. هل قلت لك أن آل بينسون التقوا بلويس في كليمنجارو؟».

«لويس؟ لويس من؟».

«لويس.. الذي كان يسكن القرية منذ زمن بعيد، ألا تذكرينه؟».

«لويس ترينشار؟ اليان.. لا يمكن أن تعني لويس ترينشار؟».

«بلى!».

وبدا على وجه ستيلا تعابير الإندواخ:

«ولكن.. لا أصدق.. لويس.. في افريقيا..».

«أعتقد أنه يعمل هناك.. إنه عالم غابات.. هكذا قالت إيرينا بينسون.. ستيلا تبدين شاحبة كمن شاهد شبحاً».

«وهكذا أحس. لويس.. بعد كل تلك السنين! وأنا من كنت قد قطعت الأمل في رؤيته ثانية».

«إذن.. فهو يعني الكثير لك؟».

«لويس هو طفولتي.. إنه.. لقد كان.. كأخ أكبر لي،

ولكن أكثر بقليل، اليان».

«لم أكن أعرف هذا».

«لقد أحببت والداي كثيراً، ولكنهما انشغلا عني في إدارة محلهما.. وخلال النهار نادراً ما كنت اراهما. ومع ذلك ما كنت لأهتم بسبب وجود لويس.. كان يعيش في المنزل المجاور لمنزلنا. وكان أفضل صديق يمكن لفتاة أن تحصل عليه». «لا بد أنه كان أكبر منك سناً».

«ست سنوات.. ولا بد أنه في الثلاثين الآن. من الصعب أن أصدق.. اخر مرة رأيته فيها كان لا يزال صبياً، وهو الآن رجل، وربما متزوج وله أولاد.. أوه اليان، لن تعرفي كم فكرت بما حل به.. كان دائماً يحب الإنطلاق، ولكنني لم أحلم مطلقاً أن يكون عالم غابات، أو أنه يعيش في بلاد بعيدة.. أتذكرينه يا اليان؟».

«بالكاد أعرفه يا ستيلا. وأظن أننا جئنا للسكن هنا في نفس الوقت الذي غادر فيه القرية.. آه.. ألم يكن هناك فضيحة حولهم؟».

«صحيح.. وكانت مريعة.. فوالده تورط في قضية.. كنت صغيرة أيامها ولا أذكر السبب. ولكنني أذكر كيف أن الناس أخذوا يتكلمون عنه.. ولم يكن لويس سعيداً للأمر، ومرة بكى، وأحسست بالخوف».

«أجل.. بعد انتهاء المحاكمة، غادر لويس وأمه، وانزعجت كثيراً يا اليان.. وظننت أنني لن أجتاز الإختبار مطلقاً».

«أعذريني ستيلا، فأنت لم تتحدثي عنه. وحتى الآن لم أكن أعرف كم كان يعني لك».

«كنت يومها في العاشرة من عمري، والحزن في ذلك السن يمر بسرعة.. ثم جئت وأصبحنا صديقتان.. ومع كل التعاسة التي مررت بها، أخذت أفكر به أكثر وأكثر».

«ستخبريني إذا ما كنت ستذهبي أم لا؟».

«بالطبع.. ومهما قررت.. أشكرك لدعوتك هذه. أنت صديقة طيبة».

بعد ذهاب اليانا، عادت ستيلا نحو المدفأة، وجلست متكئة فوق السجادة، وحدقت مفكرة بالجمر الملتهب. منذ سنتين توقفت عن عملها لتمرّض والديها. ولقد حان الوقت الآن لتعود الى الحياة من جديد فأية طريقة أفضل للبدء في قضاء ثلاثة أشهر للتمتع بأشعة الشمس والسير والسباحة وتسلق الجبال.

وقد تجد لويس.. إنه الماضي، وليس الماضي القريب التعس، بل ماضي الطفولة.. الطفولة السعيدة الخالية من الهموم، والذي بدا لها أنه بعيد.. بعيد.

لويس.! لويس الرباط الوحيد الباقي مع الماضي بعد وفاة والديها الآن. وتقدمت لتقف قرب النافذة تنظر الى الحديقة المحيطة بمنزلها الريفي.. وظهرت رؤيا أمام عينيها.. جبال وغابات تسبح تحت أشعة الشمس.. ولويس ينتظر ليرحب بها.. واستدارت عن النافذة لتحرك النار، والقرار قد اتخذته.

في الصباح التالي أبلغت ستيلا صديقتها أنها سترافق أمها الى كينيا. بعد هذا أخذت الأمور تتسارع.. الكثير للتحضير، متطلبات السفر وأنظمة صحية، وثياب للشراء.

ومرت الأيام في حركة دائمة حتى أن ستيلا كانت

تستلقي في فراشها منهكة في المساء. حتى أن الرحلة بالطائرة الى القاهرة ثم نيروبي مرت وكأنها الحلم.. سيارة من الفندق كانت بانتظارهما في المطار.. وأخيراً أصبحتا في آخر مرحلة لهما من رحلتهما.

عندما غادرت المطار نظرت ستيلا حولها، تتوقع رؤية الجبال عالية فوقها.. ولكنها أحست بالخيبة، فكل ما استطاعت أن تراه، بضع قمم عالية في الأفق البعيد، بعيدة لدرجة لم تكن واضحة المعالم، وكأنها الغيوم.

ولكن بابتعاد السيارة بهما عن المدينة باتجاه الجبال، كلما أصبح الريف أكثر بهجة أمامها.. وسرعان ما وصلا سفوح جبال كليمنجارو. وبذهول متزايد، أخذت ستيلا تتفرج على الأراضي المتموجة تنتشر على كلا جانبي الطريق.. انها أراضي ريفية جميلة.. كانت الخراف تتجمع فوق العشب.. وهناك حقول فيها نبات طويل غريب.. مرة اضطرت السيارة للتوقف لتسمح بمرور قطيع من الأبقار بقطع الطريق.

وتسلقت السيارة الى أعلى.. وأصبحت الأن خطوط القمم العالية أقرب، وأطول، وبدأت تكتسب الشكل.. والتفت السائق مبتسماً.

وانحنت ستيلا بإثارة في مقعدها، واستدارت السيارة المنعطف.. وها هو.. مجمّع صغير من المباني القابعة وسط غابة صنوبر. ودخان أبيض يرتفع فوق الأشجار ليعطي الفندق صبغة منزلية مرحبة. ونظرت السيدة بلومر الى ستيلا مبتسمة.

وبانتهاء المعاملات الرسمية، أُرشدت ستيلا والسيدة

بلومر الى منزلهما الريفي من طابق واحد، ضمن المجمّع، مسقوف بالقش ومستدير. جدرانه مدهونة بالأبيض، ونبتة حمراء الزهر تتسلق على جدرانه.. من الداخل كان المنزل بنفس الجمال.. الستائر التركوازية كانت تعكس لونها على المفارش والسجاد، ومع أن الغرفة كانت بسيطة، فلها دفء وجاذبية مرحبة. وركضت ستيلا الى النافذة لتفتحها على مصراعيها، ولترى أنها تطل على منظر رائع للجبال.. ثم استدارت الى الغرفة لتلاحظ أن السيدة تعبة.

«هل أطلب لك الشاي وبعد السندويشات؟ سأفك الحقائب لكلينا وبإمكانك الراحة».

«ستشعرين أنك أفضل حالاً بعد الراحة».

وراقبت السيدة بلومر ستيلا تفك الحقائب ثم قالت:

«لقد ذكرت لي ليز بينسون شيئاً عن لويس ترينشار».

«أجل يبدو أنه عالم غابات هنا».

«لا أظن أنني أعرفه.. ولكنك كنت صديقته.. أليس كذلك؟».

«أجل.. ومن الصعب التصديق أنه هنا.. لطالما تساءلت ما قد يكون حل به».

«وهل ستحاولين إيجاده؟».

واستدارت ستيلا عن الخزانة:

«أجل.. فهذا أكثر شيء أرغب به.. أوه.. هل هذا دق على الباب؟ لا بد أنه الشاي».

وتناولتا الشاي بصمت، وبعد الإنتهاء ساعدت ستيلا السيدة بلومر على الإستلقاء، وغطتها بالبطانية.. ثم غيرت ثياب السفر، وارتدت بلوزة وبنطلوناً، وأقفلت الباب بهدوء

خلفها، وخرجت الى الحديقة.

ووجدت ممراً بين الأشجار يقود بعيداً عن الفندق فقررت استكشافه. وطقطقت أوراق شجر الصنوبر الرفيعة تحت قدميها، ثم سمعت صوت مياه تجري. وفجأة أصبحت خارج الأشجار على ضفاف ساقية، وتابعت سيرها مبتعدة عندما قعدت على صخرة، تتمتع بصوت تحطم الأوراق اليابسة تحت قدميها. ثم شاهدت صخرة ضخمة، محفورة كالملاذ المرحب، فجلست أمامها وأسندت ظهرها إليها.

وتنشقت أنفاساً عميقة من هواء الجبل النقي.. كم هو منعش وناعم! وأحست فجأة بالدوار اللذيذ.. المكان كل شيء كانت الجبال تعلو.. واحداً بعد آخر، طويلة، عملاقة، قوية قاسية، حانية، غامضة.. المنحدرات الصخرية بدت وكأنها تمتد دونما نهاية وعلى مد النظر.. هناك شيء من البدائية حول هذا الجمال.. شيء أساسي.. حقيقي.. وقريب جداً من الطبيعة الأم. وعلمت على الفور أنها محقة بالمجيء الى هنا.

وتركت الصخرة لتبدأ السير فوق الصخر البلوري فوق المياه. وركعت لتمد يديها وتغرف الماء، ورشته فوق وجهها.. لتشهق من برودته المثلجة التي ضربت وجهها كالصدمة.. وجفت الماء بسرعة عن بشرتها، وعادت لتحس بحرارة الشمس.

وضحكت فجأة! ضحكة جميلة.. مرحة وغير متوقعة. إنها المرة الأولى التي تضحك فيها منذ زمن بعيد.. وفكرت: سأحب الحياة هنا!.. في الغد سنسأل عن

www.elromancia.com

لـويس. وستتم سعادتها عندما تجده. ولكن.. اليوم، يكفيها الجلوس هنا قرب هذه الساقية من مياه الجبال الصافية، لتراقب الشمس تغرب وراء الجبال.

وبدأت السفوح تتظلل، مع أن القمم ما زالت تشع بالألوان التي يثيرها الغروب.. وأخيراً لم يبق سوى أعلى قمة مشعة.. بكل فخامة وعظمة.. ثم غطست الشمس بعيداً عن الأنظار.. وحتى تلك القمة الأعلى، سبحت في العتمة.

- ٢ -

والتقطت ستيلا غصناً يابساً ورمته في الماء، وأخذت تراقبه وهو يدور حول نفسه، ثم اصطدم بصخرة، ثم تجمعت عليه المياه لتجرفه الى الأسفل نحو وجهة مجهولة، وعندما اختفى الغصن، وقفت على قدميها.. وبغياب الشمس أصبح الهواء بارداً.. وببطء، وبكل سعادة، بدأت تشق طريقها عائدة الى الفندق.

استفاقت ستيلا باكرا في اليوم التالي.. نظرة الى سرير السيدة بلومر أظهر أن العجوز لا زالت نائمة.. فخرجت من سريرها بهدوء، وتجولت حافية القدمين وهي ترتدي ملابسها، وحملت الحذاء بيدها، تركت الغرفة مقفلة الباب بلطف وراءها.

وكأنما كان في خطواتها رقاص وهي تسير في الحديقة. العشب كان لا يزال رطباً من الهطل.. والشجيرات الصغيرة تلمع بغشاء كالعنكبوت من الرطوبة. وأحست

www.elromancia.com

ستيلا بالسعادة لأنها ارتدت سترتها الصوفية، فهواء الصباح الباكر بارد، منعش وقوي حتى أنها أحست بالبهجة تملأ نفسها وبالإستعداد لأي شيء.. واتجهت في الممر الموصل الى الساقية، وبوصولها الى الماء أخذت تسير في وسطها فوق الصخور، ببهجة الأطفال.

كان الضباب يغطي قمم الجبال، ولم يكن يبدو منها سوى السفوح المنخفضة.. ومع كل ذلك الضباب.. كان الصباح يعد بيوم مشرق جميل. عن بعد سمعت ضجيج التحضير للفطار، وعلمت أن الوقت حان لتعود. وعندما دقت باب المنزل، وجدت السيدة بلومر مرتدية كامل ملابسها ومستعدة.

«ستيلا.. تبدين رائعة! خداك متوردان.. ولكنك باردة.. هل كنت تسبحين؟».

«لا.. فالوقت مبكر للسباحة. ذهبت أتمشى، أوه.. المكان جميل هنا.. وأنا سعيدة لأن اليان دعتني».

«وكذلك أنا.. كان هذا مناسباً لكلينا.. حسناً.. لست أدري عنك شيئاً.. ولكن بالنسبة لي هواء الجبل هنا أنعش شهيتي للأكل.. هل أنت مستعدة للفطار؟».

«بل أكاد أموت جوعاً!».

عندما كانت ستيلا قد أنهت قطعة التوست الثالثة وترتشف آخر فنجان شاي لها، رفعت نظرها لترى أن السيدة بلومر كانت تنظر اليها مبتسمة:

«هل تمعنت بالفطار يا عزيزتي؟».

فقالت كمن يعتذر:

«أوه.. أجل.. سأصبح سمينة إذا استمريت على هذا».

«ليس حسب نيتك.. إضافة الى أن جسدك بحاجة للغذاء بعد الوقت الصعب الذي مرّ بك».

وارتشفت ستيلا مرة أخرى من الشاي:

«أعرف ماذا سأفعل، لقد شاهدت مقعداً خشبياً قرب بركة صغيرة ومن حوله أجمل الأزهار.. سأجلس هناك وأحيك الصوف. وأتفرج على الجبال».

«وسأجلب دفتر الرسم وأنضم اليك.. فالمنظر يلهم أي انسان».

«هناك سيدة تجلس هناك.. أو لقد ذهبت، ولكنها كانت تنظر نحوي، وأظن أنني لو جلست لوحدي قرب البركة..».

«قد تنضم اليك؟».

«هذا ما آمل به يا عزيزتي.. فأنا بحاجة للصداقة».

«حسناً.. عليّ إذن أن آخذ دفتر الرسم الى مكان آخر».

«شكراً يا حبيبتي».

وابتسما لبعضهما بتفاهم متكامل.

بعد أن استقرت السيدة بلومر في مكانها.. وأحضرت ستيلا دفتر الرسم والأقلام، اتجهت نحو موظفة الإستقبال السمراء ذات العيون الجميلة البنية، عرفت أن اسمها نيل، والتي بادرتها مبتسمة:

«مرحباً آنسة اليستير.. هل يمكن أن أساعدك؟».

«أجل.. أرجوك.. فكرت أن أتمشى في نزهة، ولا أعرف طريقي بعد».

«هناك العديد من المتنزهات الجميلة هنا.. وهناك واحد خاصاً.. كهف طبيعي. والسير اليه سهل، والطريق جميلة.. ما رأيك بتجربته اليوم؟».

«في الواقع كنت أفكر بالذهاب الى الغابات».

«لدي أسباب للذهاب الى هناك.. أريد أن أفتش عن عالم غابات».

«عالم غابات!».

«إسمه لويس ترينشار».

«لويس ترينشار؟».

«ألا تعرفينه؟».

«لا أظنني سمعت بهذا الإسم من قبل».

عضت ستيلا شفتها:

«أوه.. كنت متأكدة.. لقد سمعت.. صديقة قالت أنها شاهدته هنا».

«لن أستطيع الجزم بالطبع، ولكن أستطيع القول أنه لو كان يعمل هنا لسمعت إسمه».

لا بد أن خيبة ستيلا كانت ظاهرة، فقد أضافت نيل بعد قليل:

«أنظري آنسة اليستير، سأسأل في الجوار. وإذا سمعت عنه سأقول لك. والآن ماذا عن هذا الصباح؟ هل أرشدك الى الكهف؟».

«لا.. ما زلت أفضل السير في الغابات. فأنا لست معتادة على الحرارة هنا. وأظن أنني سأستمتع في السير بين الأشجار أكثر».

وأخرجت نيل خريطة، فأصغت ستيلا الى تعليماتها، ثم

انطلقت.. خلف الفندق، وجدت الممر الذي وصفته لها نيل، وبدأت تلحق منحنياته الى الجبل.. بين وقت وآخر ومع ذلك فقد كانت تتمتع بنفسها.

عن بعد استطاعت رؤية تجمع الغابة الأخضر.. ولكنها اكتشفت أن تلك المسافة كانت خادعة في تلك الجبال، وأمضت زمناً أطول كما ظنت لتصل.

ووصلت الى ساقية، ووجدت أن الطريق يستمر حتى جهتها الأخرى ولم يكن فوق الساقية جسر.. بل كان هناك ممر من الصخور وضعت في الماء على مسافات محددة، لتشكل نوعاً من الجسور الطبيعية. ونظرت ستيلا بارتياب الى الصخور.. وبدت لها منزلقة وخطرة.. ولكنها قطعت مسافة بعيدة.. وخلعت حذاءها تستعد لتقطع الساقية.. ومع أنها كانت تعلم أن الماء باردة، إلا أن برودتها قطعت أنفاسها.. فسارعت الى الجانب الآخر.

وأخيراً وصلت الغابة.. وأحست بالإرتجاف لابتعادها عن حرارة الشمس.. ولدهشتها، وجدت أنها ليست في غابة عادية كما تصورت.. بل أنها كانت في نوع من الأدغال المتوحشة ومن الأشجار الضخمة الطويلة الملتفة مع بعضها، أشجار تتسابق للوصول الى أشعة الشمس.. وكان هناك أشجار جذورها ترتفع عن الأرض، ومن حول تلك الجذور نباتات متعربشة ملتفة، وكذلك صخور تعلوها الطحالب وزهور استوائية غريبة.. وفي كل مكان حولها تفيق رائحة الخضرة المتعفنة.

أول هاجز انتاب ستيلا هو أن تعود أدراجها. من الواضح أنها سارت في الطريق الخاطئة وضاعت. فليس

هـذا هو النـوع من الغابـات التي قصدتهـا في كلامهـا مـع موظفة الإستقبال في الفندق. ثم لاحظت أنها لا تـزال تسير فوق طريق.. والطريق عادة تعود الى مكان مـا.. وأحست بإحساس مفاجيء لحب المغامرة يطغي عليهـا.. وماذا يهم اذا لم يكن هـذا مـا تـوقعتـه؟ إنهـا في بـلاد غـريبـة، وفي عطلة، ولسوف تستمر في طريقها.

وسمعت صـوت ميـاه.. وبعـد منعـطف في الـطريق واجهت شلالاً.. كـانت المياه تنـدفـع من فـوق صخـور مـرتفعة نحـو بركـة كبيـرة، وكـانت البـركـة كئيبـة غـامضـة جلست على صخـرة ونظرت حـولهـا.. الغـابـة هـادئـة.. وأحست أن مـا من كـائن حي على بعـد أميـال. بعـد فتـرة ابتعدت في الغابة أكثر، تلحق بالطريق وهي تتعـرج وتتلوى عبر العشب المرتفع.

وبنفس السـرعة التي دخلت فيهـا الغابـة وجدت نفسهـا خارجها.. فخفق قلبها ونظرت حولها.. إنها الآن في غابة من أشجار طويلة مستقيمـة مزروعـة في صفوف مستـوية.. من صنع الإنسان. وحين تكون الغابة مزروعة بيد الإنسان، فهـذا يعني أن الإنسان يعتني بهـا.. ربما تستـطيع هنـا أن تجد أحداً يعرف لويس، ويستـطيع أن يقـول لها عن مكـان وجوده.

وتـابعت سيرهـا بين الأشجار الى أن وصلت الى فسحـة كبيـرة.. الحطب فيهـا مكوم أكـوام مرتبـة، وهناك أغصـان محطمة مبعثرة حيث كانت تقع تلك الأشجار المقـطوعة.. وهذه آثار واضحة لعمال غابات.

وجلست ستيلا تعبة فوق أغصان الشجـر الجافـة.. بعد

فترة أخرجت دفتر الرسم والأقـلام من حقيبة معهـا، وبدأت الـرسم.. وانشغلت بمـا تعمـل حتى أنهـا لم تستـطع أن تعرف ماذا لاحظت أولاً: الكلب المسرع نحوها أم صـوت الرجل الذي قال: «الرسم ليس سيئاً!».

فصاحت وهي تستوي في جلستها: «أوه؟ لقد أفزعتني!».

رجل كان يقف الى جانبها ويده على عنق كلبه لتهدئته.

كان طويلاً، رشيق القوام بارز العضلات في بذلة «سافاري» أنيقـة، متـوسط العمـر، كمـا ظنت، فشعـره رمـادي عنـد الفودين. ثم وبإدارته لوجهه قليلاً، أجفلت لرؤية ندبة تظهر بوحشية على خده الأيمن.

«آسف لإخافتك. لم أقصد.. كنت فقط..».

وتـوقفت كلمـاتـه، وظهـر على عينيـه تعبيـر غـريب. فابتسمت:

«لم تكن غلطتـك.. أعتقـد أنني كنت مستغـرقـة في رسمي حتى أنني لم أسمعك».

وأخذ يحدق بالرسم مفكراً:

«لقد التقطت الجو جيداً. هل أنت هنا في إجازة؟».

«أجل.. أنا من كندا».

«لاحظت هذا من لهجة كلامك. إنها مسافة طويلة».

«وإجازتي طويلة.. ثلاثة أشهر. أنا هنـا كمرافقـة لسيدة كانت مريضة.. مع أنها لم تعد كذلك منذ وصلنا هنا».

غـريب، إنهـا تتـطوع لصب الكلمـات صبـاً أمـام هـذا الرجل.. مع أنها في البداية ظنته في أواسط العمر، إلا أن صوته كشف أنه أصغر بكثير مما تصورت.

«إنـه بلد جميل ومنـاخ رائع لـلإستشفاء.. ولا بـد أنك

تحبين المشي كثيراً لوصولك الى هنا».

«في الواقع كنت أقصد المجيء الى هنا. فأنا أبحث عن شخص، عالم غابات. وظننت أن بإمكاني أن أجده هنا».

«حقاً؟ أنا المسؤول عن الغابة هنا.. وإسمي جاك ميتشل».

«وأنا ستيلا اليستير. سيد ميتشل.. ربما تستطيع مساعدتي، فمن أبحث عنه إسمه لويس ترينشار».

«أوه؟».

«لقد ربينا معاً، وفقدت الإتصال به منذ زمن بعيد».

«سمعت أن شخصاً التقى به هنا».

«وهل جئت كل هذه المسافة لتجديه؟».

«بل هذا ساعد في قراري لمرافقة السيدة بلومر.. لقد كنت ولويس.. مقربان جداً من بعضنا.. حتى أنه قال لي مرة أنه سيتزوجني عندما نكبر».

وضحكت.. فظهرت السخرية على لهجته وهو يسأل:

«وجئت كل هذه المسافة لتذكريه بوعده؟ كل هذه المسافة من كندا لتتزوجي رجلاً لم تشاهديه منذ كنتما أطفالاً؟».

«أنت تتعمد المزاج المزعج. أليس كذلك؟ ولكنك لم تفهم.. لقد مات والداي بعد مرض طويل.. وهو.. هو صلتي الوحيدة بالماضي.. لقد أحببته في طفولتي، وأفعل أي شيء لأجده».

«ولكنه ليس هنا آنسة اليستير».

«ولكن صديقتي.. كانت واثقة.. إيرينا بينسون كانت

مع عائلتها هنا وشاهدته».

«ربما كانت مخطئة. وربما رأته في مكان آخر واختلط عليها الأمر.. أو أن صديقتك استخدمت الإسم كطعم لإقناعك بمرافقة والدتها».

«أخشى أن لا أستطيع حل اللغز لك، لدي منزل ليس ببعيد عن هنا.. هل تتفضلين بالمجيء معي لتناول القهوة؟».

فنظرت اليه بارتياب، فسارع للقول:

«أنا لا أقصد الإساءة اليك.. هل ستأتين معي».

«حسناً».

بوصولهما الى منزله عرضت أن تصنع القهوة بنفسها، ولكنه طلب منها الجلوس والراحة.. وأخذت تتطلع حولها بفضول، لم يكن المنزل كبيراً، ولكن من الصعب معرفة عدد غرفه، حيث تجلس كانت غرفة مزدوجة كغرفة جلوس ومكتب. وكانت نظيفة ومرتبة، وعملية.. ربما هناك شيء ناقص فيها.. ربما ليس فيها شيء شخصي.. لمسة شخصية تدل على شخصية من يسكن فيها..

وعاد مسؤول الغابة يحمل الصينية.

«هل نتناول القهوة في الخارج».

«شكراً.. سأحب هذا».

خارج المنزل، وتحت أشجار طويلة، طاولة خشبية، ومقعدان وشهقت ستيلا بعد أن جلست:

«يكاد المنظر يدوخني.. ولا يبدو أنني سأشبع عيناي منه».

«ألا تظنين أنك حتى تنتهي إقامتك هنا ستكونين متشوقة

للعودة الى بلادك».

فابتسمت ستيلا وهي تفكر بصمت بقريتها الصغيرة، ومنزلها الفارغ فيها الآن. وسمعت جاك يقول:

«هل لا زلت تفكرين بلويس ترينشار؟ أتأملين بأن يظهر ليتزوجك؟ كي لا تضطري للعودة؟».

«أنت..!».

وقفزت على قدميها، واستدارت عنه.. كلما أسرعت في الإبتعاد عن هذا الرجل المتعجرف كان أفضل!

ومد يده ليمسك بمعصمها:

«آنسة اليستير.. لا تذهبي».

«أترك يدي!».

وأحست بغضبها يتصاعد، فلمسة يده على بشرتها كانت تجعله يقشعر.. ولكنه قال بصوت أكثر رقة:

- ٣ -

«وهل ستعاودين الجلوس لإكمال القهوة؟ هذه هي المرة الثانية التي أزعجك فيها، وأنا آسف.. هاك.. هكذا أفضل.. والآن خذي نفساً عميقاً، وعدي حتى العشرة، والى أن تنتهي العد لن تعودي تحسي برغبة في صب الفنجان على رأسي.

وبالرغم منها، ضحكت. فوجهه كان جاداً، ما عدا غمزة عينيه التي تفضح مزاحه. فقالت:

«أوكي.. أوافق فقط لأن الفنجان جميل وحرام أن اكسره على راسك».

«أعتقد أنني لم يكن يجب أن أسأل عما تفضلين، يبدو أن راسي أقل أهمية من الفنجان.. لنقل إذن أن المهم أن لا ترميه».

«أنت مستحيل..».

فوافق بابتهاج.

www.elromancia.com

«بالكامل».

وأخذا يضحكان، وزال التوتر بينهما.. وقال فجأة:

«أنا غول الغابة، فاحذري آنسة اليستير.. قد لا تعودي الى حيث تسكني».

فضحكت ثانية:

«لقد أخفتني».

«وهل تأكلين أكثر وأنت ضائعة؟».

«إنها الثالثة فقط».

«بل الرابعة».

فتنهدت:

«الرابعة إذن. أتعلم.. لقد تطورت شهيتي كثيراً منذ جئنا الى هنا. ولست أعرف أين سينتهي بي الأمر.. وربما أتحول الى جبل. وعندها لن أعود قادرة على السير..».

«عندها سيكون لدينا جبل آخر يدعى «جبل ستيلا اليستير».. وأظن أن هناك إمكانية لحدوث هذا.. هل انهيت السندويش؟ خذي واحداً آخر!».

«بالطبع لا! يا للسماء.. الساعة! سترسل السيدة بلومر فرقة تفتش عني.. شكراً للقهوة سيد ميتشل.. يجب أن أذهب الآن».

«سأسير معك. فهناك شيء أحتاجه من مخزن الفندق».

«أوه.. هذا عظيم».

وهو يقفل باب منزله سألته:

«سيد ميتشل، أرجوك لو سمعت شيئاً عن لويس ترينشار، هل تبلغني؟».

فالتفت اليها وظنت أن هناك نظرة قلق في وجهه:

«لن أسمع شيئاً».

«وكيف تكون واثقاً؟».

«لأنني أعرف أسماء العاملين والعلماء في الغابات في كل أنحاء كينيا وحتى في البلدان المجاورة ولو كان هناك من يحمل هذا الإسم لعرفته».

وبسرعة، وصلا الطريق الموصل الى الفندق. وهناك ودعها جاك، فالطريق الى المخزن يختلف عن طريقها.. ورفع يده «أراك فيما بعد» وابتسم ثم ابتعد.. فاستدارت نحو مكان إقامتها..

«هل وجدت طريقك الى الغابة؟».

فتوقفت ستيلا تبتسم لها:

«أجل.. شكراً لك.. تعليماتك كانت سهلة. ولكنني لم أتوقع تلك الغابة المخيفة التي وجدت نفسي فيها».

«صحيح.. إنها صارمة لأول مرة، كان يجب أن احذرك.. ألم تلتقي بالرجل الذي سألتني عنه؟».

«لا.. بل التقيت رجلاً آخر يعمل في الغابات».

ونظرت اليها نيل بحدة:

«صحيح؟».

«جاك ميتشل.. أتعرفينه؟».

«أجل».

«دعاني الى فنجان قهوة معه في منزله».

وتلاشى النور من عيني الفتاة فجأة وأصبحت لهجتها عدائية:

«هل تناولت القهوة مع جاك؟».

«وهل هناك خطأ في هذا؟».

«لا أعتقد.. ولكنني مندهشة!».

«ولماذا؟».

«لأنه لا يدعوا الغرباء عادة الى منزله».

«حسناً ربما كان السبب ظروف لقائنا».

«أوه؟».

«لم أكن بعيدة عن منزله عندما التقاني.. وتحدثنا عن لويس وكان فظاً معي.. وربما أحس أنه مضطر لدعوتي الى القهوة كنوع من الإعتذار».

«هكذا إذن.. وهل عرف جاك شيئاً عن لويس ترينشار؟».

«قال أنه لم يسمع عنه مطلقاً».

«إذن كوني واثقة أنه لا يعمل هنا».

وابتسمتا لبعضهما وأكملت ستيلا طريقها.. لتجد السيدة بلومر لا تزال في الحديقة حيث تركتها في الصباح:

«أهلاً عزيزتي.. هل كان يومك جيداً؟».

«رائع.. شكراً.. وأنت؟».

«أوه.. جميل حقاً.. السيدة التي أملت أن تنضم الي فعلت. وأمضينا معاً صباحاً رائعاً.. وخاصة أننا اكتشفنا أشياء مشتركة بيننا».

«أنا سعيدة لصداقتك الجديدة.. أستطيع الآن الإنصراف لوحدي دون الإحساس بأنني أهملك».

«أنت لا تهمليني أبداً. والآن.. ماذا فعلتي؟».

«ذهبت الى الغابة».

«أوه..؟ وهل ذهبت تبحثين عن صديقك؟».

«أجل..».

«وهل أسعدته رؤيتك؟».

«لم يكن هناك».

«لا.. إنه ليس هنا.. لا يبدو أنه يعمل هنا».

«أوه.. ستيلا.. أنا آسفة».

«ولكن اليانا قالت أنه شوهد هنا».

«ربما أخطأت اليانا».

«لا.. إنها لا ترتكب أخطاء مثل هذه».

«ربما نقل الى منطقة أخرى؟».

«ربما.. ولكنني أحس بغرابة أن هناك شيئاً خاطئاً».

«هذا هراء يا عزيزتي.. المجرد أن اليانا أخطأت..».

«لا أظنها أخطأت.. أتعلمين التقيت مسؤول غابات آخر إسمه جاك ميتشل.. وقال أنه لم يسمع به».

«ربما لم يسمع به حقاً..».

«ربما.. لولا تلك النظرة في عينيه عندما تكلم عنه».

«ماذا تعني يا ستيلا.. أي نوع من النظرات؟».

«أتمنى لو أستطيع أن أصفها.. بدا وكأنه يدافع.. قلق.. وكأنه مستيقظ حذر.. وكان متهكماً كذلك. وكل هذا كان عندما تحدث عن لويس».

«إذن تحدثتما عن أشياء أخرى؟».

«أجل.. لقد تناولت القهوة في منزله، وكان رائعاً معي».

«ستيلا.. أواثقة أنك لا تتخيلين كل هذا؟».

«لا.. بل واثقة تماماً».

«ستيلا.. عزيزتي، ربما لا يجب أن أقول هذا، ولكن تعلمين كم أهتم بك.. وأعلم أنك لن تغضبي..».

فسألتها بهدوء:

«ما الأمر؟».

«حسناً.. أعلم كم كنت تلقين آمالاً على لقاء صديقك. أخبرتني اليانا بكل شيء، وكيف أنه صلتك الوحيدة بماضيك. لقد مر عليك أيام صعبة يا ستيلا».

وصمتت لتمد يدها وتداعب رأس الفتاة.. وظنت ستيلا أنها قررت أن لا تتابع حديثها.. ولكنها تابعته بعد لحظات:

«ستيلا.. أتظنين أن من الممكن أن تكوني راغبة في رؤيته لدرجة أنك.. أنك..».

وأحست ستيلا بالدموع تحرق مقلتيها.. إذن لم تصدقها السيدة بلومر عندما قالت أن هناك شيئاً خاطئاً:

«ستيلا.. أرجوك.. لا تكدري نفسك كثيراً.. لم أقصد أن..».

وابتسمت ستيلا بجهد:

«لا بأس.. تظنين أن هاجساً قد استولى على فكري حوله.. حسناً ربما..».

«ليس هاجساً.. ولكن أليس من المعقول أن آل بينسون قصدوا جزءاً آخر من كينيا.. على كل الأحوال جبال كليمنجارو تمتد على رقعة كبيرة من افريقيا».

«هذا ممكن. على كل الأحوال.. أنا مسرورة لصداقتك الجديدة.. ما اسمها؟».

«السيدة تراست. ولديها إبن.. إنه متسلق جبال وهو يتدرب على التسلق هنا».

«وأين سيتسلق؟».

«لقد قالت لي أمه، ولكنني لا أتذكر.. لماذا لا تسألينه بنفسك السيدة تراست تريد تقديمه لك».

«ربما.. في يوم ما».

«أظن أنهما سينضمان إلينا في صالون الفندق هذا المساء..».

وغمزت لها ستيلا:

«يا الهي سيدة بلومر، يبدو أنكما تحاولان تدريب أيديكما على فنون جمع الشمل».

«ستيلا..! من قال لك شيئاً عن جمع الشمل؟ ولكنك شابة وهو شاب. وكلاكما وحيد.. فلماذا لا تكونا صديقين وأنتما هنا؟».

«كنت أمازحك.. ولكنني أظن أنه لو كان يتدرب على تسلق الجبال فلن يكون مهتماً بي.. ثم أظنني أسمع جلبة تحضير الغداء..».

وضحكتا وهما يتجهان الى الفندق معاً.

بعد الغداء عادت ستيلا الى الساقية.. وجلست تتأمل الجبال الشاهقة حولها.. وتجولت عيناها فوق القمم.. لتستريح على السفوح المليئة بالغابات.. اليانا لم تكن مخطئة.. وأنا لست مخطئة.. فلماذا كل هذا الغموض حول لويس إذن؟.. أوه.. عسى أن لا يكون هناك شيء خطير.

وبشكل محتم استدار تفكيرها على جاك ميتشل.. على الرغم من قناعتها أنه يخفي شيئاً عنها، فهناك شيء ما حوله، يثير كل عصب في جسدها، لمسة يده كانت كافية لترسل الرعشات في عمودها الفقري.. إنه احساس لم

تشعر به من قبل. وهو شعور تتمنى لو يتلاشى من تفكيرها.

وراقبت ستيلا الألوان الرائعة المتراقصة للغروب. وملأ نفسها احساس غامض بالقلق. وهي تعرف، دون أن تعترف، سبب ذلك الشعور. فهناك أكثر بكثير من مجرد العلم المؤكد أن لويس كان هنا. وأن جاك ميتشل، لاسباب خاصة به، لم يرغب في أن تعرف. وهو بنفسه من جعلها تحس بعدم الوثوق هذا.

فجأة جعلتها تعقيدات هذا اليوم نافذة الصبر. وكانت الشمس قد غربت عن أعلى قمة وسط هالة من الأبهة المشعة. وبدأ الطقس يبرد. فوقفت ستيلا والتقطت حصاة ورمتها بغضب في الماء. وبعد أن نفست غضبها بهذه الطريقة الساذجة، شقت طريقها الى الفندق.

ذلك المساء، وبعد انتهاء العشاء. تناولت السيدة بلومر وستيلا القهوة في الصالون الكبير. ومع شدة الحرارة نهاراً، فعندما غابت الشمس أصبح الطقس بارداً. وهكذا أشعلت النار في المدفأة الحطب المحترق كان من أشجار الغابات، والرائحة المتصاعدة منها كانت حلوة برائحة الصمغ. وهكذا أصبحت الغرفة حميمة بسقفها الخشبي المنخفض ومقاعدها المريحة، المنتشرة في مختلف الأنحاء بطريقة يمكن فيها للنزلاء إما تبادل الأحاديث الإجتماعية أو العزلة.

«كم هذا جميل. . ! أرجوكما أن تنضما الينا».

فرفعت نظرها لترى إمرأة مسنة وشاب يجلسان قربهما. وتابعت السيدة بلومر بالتعارف:

«هذه صديقتي الشابة ستيلا اليستير. . ستيلا عزيزتي أود أن أعرفك الى السيدة تراست، وهذا ابنها كما أعتقد. . ؟».

فسارعت المرأة تقول:

«أجل. . طبعاً، كنت على وشك تقديمه. . إنه إبني براين. . ألا تعتقد أن الآنسة اليستير جميلة يا براين؟».

وأجفلت ستيلا للتقدم المباشر في الحديث فحاولت الكلام.

«يا للسماء. . ».

ولكن براين قاطعها، مجيباً على سؤال أمه:

«بل جميلة جداً. أمي. . أظنها فكرة جيدة لو تبادلت معك المقاعد. فأنت تودين الحديث مع السيدة بلومر، وأنا أود الحديث مع الآنسة اليستير».

وقالت السيدة بلومر:

ودهشت ستيلا للسرعة التي تتحرك بها الأمور. . فاجابت:

«بل أفضّل أن يدعوني ستيلا».

فابتسم براين وقال:

«شكراً لك سيدة بلومر. فأنا أفضّل التخلي عن الرسميات. . ستيلا، أنا براين».

وخلال دقائق انهمكت المستان بالحديث حول أحفادهما. . واستدارت الى براين فوجدت عيناه مثبتتان عليها. . وهمس لها:

«إنهما فظيعتان. . أليس كذلك؟ أحفادهما، ليباركهم الله، سيوفرون مادة لا تنتهي من الحديث المهم لفترة

أشهر».

«أنت لست أب.. أليس كذلك؟».

وكشّر وجهه برعب ساخر:

«يا للسماء! لا..! حتى أنني لم أتزوج بعد. لم أجد الفتاة المناسبة. ومن تتحدث عنهما أمي من أحفاد هما ولدا شقيقي، بنت وصبي. وهي مولعة بهما.. وستفتقدهما كثيراً وهي هنا».

«لقد قلت «أشهر» منذ قليل».

«صحيح. فأنا هنا لأتمرن تحضيراً لمباراة في التسلق في «هملايا» في وقت قادم من هذه السنة.. لقد كسرت ساقي منذ أشهر، وتوقفت عن التسلق لفترة. أما الآن فقد عدت للتمرين.. في الواقع، كنت محظوظاً.. فأنا أعمل في مؤسسة لبيع أدوات التسلق، ومشاركتي في مباريات التسلق دعاية رائعة لهم. ولهذا تمكنت من أخذ هذه الإجازة الطويلة».

«وأمك؟».

«إنها هنا ترعاني وتعتني بغذائي.. ولكن المشكلة أنها تنسى دائماً أنني رجل ناضج».

فضحكت ستيلا:

- ٤ -

«هكذا هن الأمهات.. إنها تعجبني يا براين».

«أجل.. إنها رائعة.. يكفي الحديث عنها.. ماذا عن أهلك؟».

«نحن من كندا.. والسيدة بلومر مريضة، والطقس البارد الرطب لا يفيدها ونصحها الأطباء بتغيير الجو. وابنتها اليانا صديقتي، وعرضت عليّ مرافقتها الى هنا».

«فهمت.. ولكن كيف دخلت أنت في الموضوع.. آسف سؤال شخصي..».

«لا بأس. مات والداي مؤخراً. وظنت اليانا أنني بحاجة لهذه العطلة أيضاً. وطلبت مني مرافقة أمها لاحتياجها الى مرافق، ولكنني أظن أنها كانت تحاول مساعدتي كذلك».

«مهما تكن الدوافع، أنا سعيد لأنك هنا».

وأخرج براين غليوناً من جيبه وبدأ يحشوه بالتبغ، ثم قال:

www.elromancia.com

«في الواقع كنت أتوهم من مواجهة الأمسيات، فنهاري مشغول دائماً، والأمسيات تكون مملة.. ولطالما أملت بصحبة نسائية شابة. وفتاة بمثل جمالك هي أكثر مما حلمت به».

«أنت تطريني».

«لا بل أعني كل كلمة».

وأكمل اشعال غليونه وسحب منه أنفاساً متواصلة، ثم قال:

«سنخرج معاً ستيلا. خلال النهار لن أراك كثيراً، فأنا أمضي معظم وقتي في التسلق، فأنا حقاً جاد في استعادة أهليتي. ولكن سنكون معاً في الأمسيات».

«وهل يقدم الفندق حفلات التسلية؟».

«أحياناً».

«وهل يقدمون الأفلام؟».

«الأفلام.. أجل. ولكنهم يقيمون أحياناً حفلات راقصة، وهي جيدة إذا كان لدى المرء من يراقصه.. وأنا لدي مرافقة الآن».

فابتسمت:

«هيا أنت تطريني من جديد!».

«لا.. حقاً.. لن نعتمد على الحفلات.. نستطيع الخروج للتنزه، أو الجلوس قرب النار للحديث».

«أحب أن أسمع شيئاً عن التسلق».

«أوه.. سأخبرك كل شيء. فأنا أحب الحديث عن الجبال، وربما ستضجرين وتتوسلين اليّ كي أتوقف».

«أنظر براين.. بدا التعب على السيدتين، والأفضل أن

آخذ السيدة بلومر الى مقرنا».

وجلستا في غرفتهما بصمت، بينما أخذت ستيلا، تمشط شعر السيدة الرمادي اللامع الناعم رغم بياضه. ثم سألت السيدة:

«ما رأيك ببراين؟».

فردت ستيلا بحرارة:

«إنه لطيف.. أعجبني».

ونظرت العجوز الى عيني ستيلا عبر المرآة:

«وأنا كذلك أعجبني.. وسيكون أمامكما ما يكفي من وقت للتعارف. فسوف يبقيان نفس المدة التي سنبقيها هنا تقريباً».

إذا كان تعبير العجوز يعني شيئاً، فستيلا لم تكن مستعدة للخوض به بعد، وردت ببرود:

«هكذا قال لي».

«إنه يقارب الثلاثين، وأمه قالت أنها متشوقة لأن يستقر ويتزوج».

وهذا تصريح لا يمكن تجاهله، فتوقفت ستيلا عن تمشيط المرأة لتنظر اليها بريبة:

«سيدة بلومر.. لقد قلت باكراً بعد ظهر اليوم.. أنك لست (خاطبة)».

«بالطبع لست هكذا يا عزيزتي.. كنت أقول لك فقط ما قالته أمه».

وبدا الإحمرار على وجنتي العجوز، فتابعت ستيلا تمشيطها:

«هكذا إذن».

www.elromancia.com

«إنه شاب لطيف ستيلا.. وكما عرفت إنه مهندس قدير، وهو يمارس التسلق في أوقات متقطعة.. وفي الواقع هذه الإجازة أعطتها له الشركة التي يعمل بها».

«أعرف هذا».

وابتسمت لها مطمئنة. فتابعت المرأة:

«الواقع.. حسناً.. إنه يبدو شاباً طيباً، وهو من عائلة جيدة، وأمه إمرأة لطيفة جداً، و.. و..».

وصمتت وكأنها لم تقرر بعد ما ستقول فأكملت عنها ستيلا:

«تريدينني أن أمضي بعض الوقت مع براين؟».

«أنا مرتاحة لوجودك معي، ولكنك في الرابعة والعشرين يا عزيزتي. وكل حياتك كانت واجبات.. وأحب أن أراك سعيدة».

«ولكنني سعيدة».

«تظنين هذا.. يا عزيزتي.. ولكنني لست الرفيق المناسب لك».

«ولكن اليانا تؤمن بأنني مناسبة».

«صحيح.. لعطلة كهذه في حال احتجت شيئاً.. وهذا كل شيء.. يجب أن تقابلي الشبان.. ها.. لقد قلتها! وستكونين زوجة رائعة لشاب ما.. وبراين..».

فقاطعتها ستيلا بهدوء:

«براين شاب لطيف.. ولكنني بالكاد أعرفه».

«ليس بالضرورة أن يكون هو.. أعط نفسك الفرصة.. ألن تفعلي؟».

«سأفعل.. وأنا شاكرة لك اهتمامك بي، وأحبك لأجل

هذا.. ولكن عندما أريد أن أتزوج، أريد أن أكون واثقة، لا أن أكون مجبرة. أريد أن أحب الرجل الذي أتزوجه حباً حقيقاً».

«ستيلا.. لويس ليس السبب أليس كذلك؟».

«أوه.. لا!».

«لا بأس إذن.. أعط نفسك الفرصة.. حتى لو وجدت لويس فقد يكون متغيراً عن الولد الذي عرفتيه يوماً».

«أعرف هذا، وأنا لست واقعة في حب ذكرى.. حقاً».

واستدارت السيدة عن المرآة:

«أنت فتاة عاقلة.. شكراً لك يا عزيزتي على تمشيط شعري.. وسآوي الآن الى الفراش. عمت مساءً».

«عمت مساءً سيدة بلومر».

بعد أن نامت السيدة بلومر، وقفت ستيلا على النافذة لتأخذ نفساً عميقا من هواء الليل البارد العطر. السماء مظلمة جداً الآن ولا مجال لرؤية الجبال، كل ما كان يبدو منها هو قممها الأكثر سواداً من السماء.. وبدت تلك القمم غامضة ومحرّمة، ولكن في إحساس الثبات فيهم بعض الطمأنينة.

في مكان ما، عند تلك السفوح المظلمة يوجد منزل.. وفيه يسكن رجل طويل نحيل.. هل هو نائم؟ أم مستيقظ؟ يقرأ ربما أم يخطط لعمل اليوم القادم؟

السيدة بلومر مخطئة.. إنها لا تحب لويس، لا يمكن للمرأة أن تحب رجلاً تتذكره فقط كطفل. ولكنها تتوق لكشف الغموض الذي يحيط به.. لأنها واثقة من وجود ذلك الغموض.

www.elromancia.com

فكرت ستيلا، أن ترددها حول براين ينبع من نبع مختلف، نبع أحست أنها لن تستطيع بحثه مع السيدة بلومر. . إنها معجبة ببراين. . إنه دافيء ومنفتح، وستحس بالمرح معه. ولكنه لن يكون الرجل الذي سيدفع نبضات قلبها الى الجنون، ولا ليدفع دمها يجري ساخناً في عروقها.

لفترة ما، بقيت ستيلا بعيدة عن الغابة. . جاك ميتشل قد أثر عليها بطريقة جعلتها مترددة في لقاءه ثانية. . واقنعت نفسها أنها لم تقع في حبه. . قطعاً. . فهي لم تلتق به سوى مرة. . ولكنها كانت خائفة قليلاً من المشاعر التي أشعلها فيها.

ومع ذلك فالجاذبية التي أحست بها نحوه خدمت غرضاً واحداً. لقد أظهر لها هذا أن بالإمكان أن تثار، وبعمق، على يد رجل. لذلك يجب أن تنتظر لتقابل رجلاً آخر يمكن له إثارة مشاعرها. . للمقارنة.

كان هناك الكثير للمشاهدة. الكثير لتعجب به في تلك الجبال. . أحياناً كان العشب يرتفع في الممرات بحيث لا تعود ترى طريقها. .

أغلب الأحيان وهي تسير، كانت تسمع صوت مياه جارية، ثم بعد منعطف في الطريق، تواجه ساقية، أو ما يقرب من نهر، وقد تجري الطريق على حافة هذا النهر لفترة قبل أن تبتعد ثانية عنه، ولكنها بين حين وآخر تستمر الى الناحية الأخرى منه، حيث تضطر ستيلا لخلع حذاءها والسير فوق الصخور كي تقطع المياه الى الضفة الأخرى.

من حين لآخر، كانت تسمع نباحاً بعيداً. . في البداية

ظنت هذا نباح كلاب. . ولكن عندما سألت براين، قال لها أنها صيحات نوع من القردة تدعى «البابون». . وهي حيوانات قد تكون خطرة، ومع أنها قد لا تقترب اليها إلا أنه حذرها من عدم إغاظتها برمي الحجارة عليها. ومرة التقط نظرها حركة بعيدة قليلاً، فوقفت جامدة، عيناها تبحثان بين الصخور المغطاة بالعشب المرتفع.

وعادت الحركة ثانية. ثم تأكدت مما ترى. . حيوانات العواء الذي يشبه نباح الكلاب. وبقيت جامدة في مكانها لفترة طويلة تراقب القردة الواثبة مرحاً. إنها لم تشاهد من قبل حيوانات برية تلعب في محيطها الطبيعي.

كانت كذلك تشاهد الطيور، طيور ملونة بألوان براقة غريبة تصدر أصوات وهي تطير عبر السماء. . وشاهدت مرة طير غريب يطير على علو منخفض. . يلامس الأرض تقريباً. . ذنبه الطويل وكأنه يجذبه الى الأسفل. . وبعد أن أخبرها براين أن إسمه «الهويدا» أو ما يعني «شريط حداد الأرملة» أخذت ستيلا تراقبه بحبور كلما شاهدته تتعجب من ذنبه الطويل الأسود الذي يبدو فعلاً كشريط الحداد.

وأمضت ستيلا الكثير من أيامها بهذه الطريقة. . تتجول الى حيث توصلها الممرات الجبلية. أحياناً كانت نيل، موظفة الإستقبال، تقترح عليها وجهة محددة. . ولأنها الآن لا تذهب الى الغابة فقد وجدت تصرف الفتاة الأخرى ودي، وساعدتها كثيراً.

وعند المساء، كان هناك براين. . وبراين مرح. وكان لديه على الدوام قصص خلابة عن الجبال أبقيت ستيلا مذهولة. ولو أنها كانت تحس أحياناً أنه يبالغ أو حتى

يخترع القصص لإعطائها المزيد من الإثارة، إلا أن هذا لم يمنعها من التمتع بها.

براين كان يتمكن دائماً من إضحاكها.. أحياناً عندما يتشاركان الضحك لنكتة، كانت تنظر لترى أن السيدة بلومر والسيدة تراست تبتسمان لهما بسرور.. ولكن بعد فترة لم يعد هذا يزعجها. فهي على الرغم من تمتعها برفقة براين، فقد كانت واثقة أن ليس بينهما سوى الصداقة.

بعد اسبوع وأكثر، من هجرانها للغابة، قررت ستيلا أن تعود الى هناك ثانية. وكان يوماً حاراً. وبعد سيرها لفترة في الشمس المحرقة، بدأت تحس بالتعب، وفكرت ببرودة الغابة بشوق.

ووصلت الغابة الكثيفة.. وكان الإختلاف في الحرارة مفاجئاً حتى أنها ارتجفت. وهي تدخل ذلك العالم الأخضر الغريب الصامت. وللحظات فكرت بالعودة. ولكن ما أن وصلت الشلال وبركة العفاريت حتى أحست بالسرور لمجيئها.. فالمكان هنا منعش وبارد وحيث لا يمكن للشمس أن تكون حارة.

وتابعت سيرها عبر الأشجار الملتفة الى أن وصلت الى الأشجار المغروسة هناك أيضاً.. كان الجو بارداً وهادئاً.. ولكن سيرها الأول تحت أشعة الشمس المحرقة إستنفذ قوتها. ثم وصلت الى صخرة كبيرة بدت وكأنها موضوعة هناك قصداً للمسافرين التعبين. فجلست فوق البساط السميك لورق الصنوبر الرفيع، واستندت الى الصخرة وأغمضت عينيها.. كانت تنوي فقط الإستراحة لدقائق.. ولكن لا بد أنها كانت تعبة أكثر مما تدرك.. ولم تحس

بنفسها عندما غطت في النوم.

وأحست بيد تلامس ذراعها، فجلست مذعورة وهي تصيح:

«يا للسماء! هل اعتدت أن تفزعني!».

ورد عليها جاك ميتشل وهو يقف كالبرج المرتفع فوقها:

«لحسن حظك أنني أنا من أفزعتك».

وجهه لم يكن مبتسماً، بل متجهم ومتصلب.. فردت عليه وهي تتعجب لغضبه:

«لم أكن أقصد أن أنام».

«لا تتركي هذا يحدث ثانية.. مطلقاً».

ودون أن تفهم سبب غضبه أجابت:

«حسناً.. لن أفعل.. ولكنني كنت تعبة.. والمكان هنا هادىء ومريح..».

«آنسة اليستير.. كيف يمكن أن أجعلك تفهمي أنك هنا لست في كندا؟ لا يمكنك ترك نفسك تنامين هكذا في هذه الغابات ولا في أي مكان من السهول أو الجبال».

ومع التصلب كان هناك نظرة اهتمام في عينيه جعلت قلبها يخفق بقوة. ولكي تخفي ارتباكها قالت وكأنها تدافع عن نفسها:

«لقد قلت لك أنني لن أفعل هذا ثانية.. ولكنني لا زلت أعتقد أن ما فعلته ليس جريمة».

ومد يده اليها:

«إنهضي، ساريك ماذا أعني.. بهدوء الآن.. بهدوء كامل».

وأمسك بيدها ليقودها دون صوت الى الجهة الأخرى

- ٥ -

للصخرة التي كانت تتكيء عليها. فحاولت الكلام محتارة:

«ماذا..؟».

ولكنه أسرع ليضع يده على فمها ويصمتها.. وقال بصوت أقل من الهمس:

«هناك».

ونظر من عينيه المهتمتين الى البقعة التي يشير اليها، وردد بهمس:

«هل ترينها؟».

وكادت تشهق لولا أن يده كانت لا تزال على فمها، وإلا لكانت صرخت. وهذا ما كان يحاول منعه. ونظرت اليه بذعر. وعندما تأكد من سيطرتها على نفسها ترك فمها.

في حفرة عند أقدام الصخرة كانت تستلقي أفعى، خضراء ملتفة ومليئة بالشر..

ووجدت نفسها ترتعد، فجرها مبتعداً، وبسرعة وهدوء،

ولكن بلطف مدهش. وسألته عندما تمكنت من الكلام:

«ما هذه؟».

«إنها المامبا».

«وهل هي سامة؟».

«بل سمها قاتل للحال. إنها أكثر الأفاعي فتكاً في افريقيا».

وأخذت تتصور ما كان سيحصل لو أن الأفعى قررت أن تفك نفسها وتستكشف ماذا وراء الصخرة.. وهمست:

«ما كنت أحلم بهذا..».

«أعلم.. أتظنين أنني لا أعرف كيف تشعرين.. هل فهمت الآن لماذا قلت لك أنك لا يمكن أن تنامي هكذا؟».

«لقد بدا المكان آمناً وساكناً..».

«صحيح.. ولكن يجب أن تحذري بعض الأخطار.. كان يمكن أن يكون الخطر عقرباً.. أو أي شيء».

«سأكون حذرة من الآن وصاعداً».

وأحست بالهدوء، ولكنه هدوء سببه تخدر الإحساس، فالصدمة لم تكن قد تلاشت من نفسها بعد.

وسمعته يسألها:

«أتشعرين بتحسن الآن يا ستيلا. لا تبدين مفزوعة بعد بل.. جميلة في الواقع».

لقد ناداها ستيلا، واستدارت على نفسها، تحت قدميها صخرة صغيرة لم تنتبه اليها، وصرخت، ثم ابتعدت قليلاً عن الصخرة ولم تستطع أن تضع قدمها على الأرض وكادت تقع:

www.elromancia.com

«ستيلا! ما الأمر؟».

ووضع ذراعه حولها على الفور.

«لست أدري».

«هل آذيت نفسك؟».

«إنه كاحلي..».

«أوه جاك.. أظنني آذيت كاحلي!».

«لا أرجو هذا».

وانحنى على ركبتيه ليساعدها على الجلوس:

«دعيني القي نظرة. سأحاول أن لا أؤلمك، ولكن لا تظهري شجاعة لا لزوم لها، إذا أحسست بالألم فاصرخي».

فتمتمت وهي تصلّب نفسها لتتحمل الألم:

«حسناً».

وأمسك بقدمها وبدأ يتفحصها.. بعد لحظات أحست بالإرتياح فعلاً، فهو لم يؤلمها وهو يمرر أصابعه بخبرة فوق قدمها الذي أخذ يتورم بسرعة، وطوال الوقت وقفت كلبته تشم ستيلا وتصدر أصواتاً رقيقة وكأنها تواسيها. وأخيراً قال جاك:

«إنه التواء مفصل.. صحيح أنه مزعج ولكن على الأقل ليس هناك كسر».

وابتسمت رغم المها:

«شكراً لله!».

واستقام في جلسته على ركبتيه ونظر اليها مفكراً:

«والآن.. القرار التالي.. ماذا سأفعل بك؟».

«لا أظنني سأتمكن من السير».

«هذا واضح.. فكاحلك بحاجة للعلاج».

«أتركني هنا واذهب لطلب المساعدة. وإذا ذهبت الى الفندق قد يرسلوا معك طبيباً الى هنا».

«وأتركك هنا لوحدك».

فصاحت برعب:

«الأفعى!».

«في هذه الحالة..».

«لا أحب فكرة تركك وحيدة.. وعلى كل الأحوال ليس هناك طبيب في الفندق. وعليهم إرسال خبر لأقرب بلدة.. وهذا سيأخذ وقتاً. ونحن لا نبعد كثيراً عن منزلي. سأحملك الى هناك، ثم نرى ماذا سنفعل لكاحلك».

«وهل سنفعل؟».

فضحك بخبث:

«أعرف القليل عن الإسعاف الأولي.. ولست طبيباً.. ولكن العيش لوحدي في الغابات أجبرني على تعلم الأشياء الأساسي في الطب».

والتقط حذائها ووضعه بين يديها:

«إحملي هذه فهي لن تناسب قدمك المتورمة الآن.. وسأحملك».

بعد بضع دقائق، أخذت ستيلا تتساءل: أيمكن أن تكون في الجنة برغم كل هذا الألم؟ ثم قررت أن الأمر ممكن.

وسألها جاك:

«هل أنت على ما يرام؟».

«عظيم..».

بعد ذلك صمتا. . ومع أن جسدها صغير وهي نحيلة وخفيفة الوزن الا إنها كانت تعرف أنها بعد مسافة ستصبح ثقيلة، ومع ذلك فقد تابع جاك سيره بثبات دون أن يبدو عليه الجهد أو التعب.

ووصلا الى المنزل، في وقت مبكر كما اعتقدت، ووقف جاك قرب الباب.

«أتستطيعي فتحه؟».

فمالت الى الأمام وفتحته، فأكمل حملها عبر الغرفة التي جلست فيها آخر مرة ثم الى غرفة نومه. ووضعها بلطف فوق سريره. ثم استقام وتنفس بصمت «أنت بخير؟».

«جداً».

وابتسمت له شاكرة، ولم تستطع منع مشاعر قلبها من الظهور في عينيها. ونظر اليها طويلاً، ولاحظت أن لون عينيه يصبح داكناً ثم قال لها بخشونة:

«إستلقي وارتاحي. سأجيء بما أحتاج اليه ثم نرى ما أستطيع فعله مع كاحلك».

وفي وقت قصير عاد وبدأ يلق الرباط على كاحلها: «لن أؤلمك» حركاته ناعمة غير مستعجلة وخبيرة «أنت فتاة شجاعة» فأجابته:

«وأنت رقيق جداً».

لم تستطع أن تقول له أن لمسة يديه على بشرتها تنتج إحساساً مدغدغاً لم يستطع حتى الألم أن يوقفه. وأخيراً رفع رأسه ليقول:

«قد يمضي وقت طويل قبل أن تتمكني من الركض ولكن على الأقل فعلت ما بوسعي».

«شكراً لك سيد ميتشل. هذا لطف كبير منك».

وأحست بالخجل لعدم ثقتها بما قد يحدث في التالي. . فقال ممازحاً:

«هذا غير مناسب بعدما مررنا به. . لقد ناديتني منذ قليل جاك، فلنترك الأمر هكذا. . أيمكن ستيلا؟».

«سأحب ذلك كثيراً. . ولكن جاك لا زلت أعني عرفاني بالجميل».

«لا ضرورة لهذا، فقد تمتعت بحملك. أما بالنسبة لك. . هل أنا مخطيء في اعتقادي أنك لم تمانعي كثيراً ستيلا؟».

وكان في عينيه مزاح لطيف حتى اضطرت لأن تخفض عينيها. ولم تتمكن من الرد عليه. . بل ابتسمت، وهي تحس بوجنتيها تحترقان. وقال ممازحاً مرة أخرى:

«كما ظننت تماماً».

ولكنه لم يحاول إطالة المزاح، وعندما تكلم ثانية كان صوته جاداً.

«أظن أن كلانا جائع. . ما رأيك ستيلا؟».

«هل أطبخ لنا شيئاً؟ قل لي أين أجد الأشياء. . ».

«توقفي. . سيدتي! صحيح أن عمل خبير قد جرى على تلك القدم. ولكنها لا زالت هشة وعرضة للعطب! ويجب أن تثقي بطبخي هل ذقت السمك المشوي على الفحم من قبل؟».

وعندما نظرت اليه متعجبة أضاف:

«لقد اصطدت واحدة هذا الصباح. . أنت لم تتمتعي بالحياة الى أن تتذوقي السمك المشوي على الفحم».

www.elromancia.com

واستلقت ستيلا قانعة ورائحة دخان الحطب المحروق، ثم السمك السمك المشوي تدخل عبر النافذة الى الغرفة. حتى أنها نسيت أن تقلق كيف ستعود الى الفندق. فمن المؤكد أن جاك سيعتني بهذا كما اعتنى بكل شيء.

«أظن هذا الأفضل نظراً لظرفك، يوم ما آمل أن نتشارك الطعام تحت الشجر.. ولكن أريدك أن تبقي هادئة وتتمتعي بالطعام».

وجذب طاولة وكرسياً نحو السرير، وراقبته وهو يفرش الطاولة بقماش مطرز ثم يضع الأطباق والشوك والسكاكين.. ثم جاء بالصينية ليضع طبق السمك على الطاولة.. وناولها كوباً من عصير فاكهة غريبة المذاق.. ثم جلس ليأكلا.

وأعلنت وهي تلعق شفتيها:

«إنها لذيذة.. لم أذق شيئاً بهذا المذاق اللذيذ من قبل يا جاك».

وسألها بعد حين:

«هل كنت تتمشين كثيراً مؤخراً».

«أجل..».

وأخبرته عن الأماكن التي زارتها، فأجاب:

«هناك المزيد.. ربما عندما يكون لدي يوم فراغ قد تودين القدوم معي.. سآخذك الى أماكن غير موجودة على الخريطة».

«شكراً لك.. سأحب هذا».

كانت تعلم أن عيناها تلمعان، وتساءلت ما إذا كان قد علم أن السبب هو فكرة قضاء وقت معه، بدل التفكير برؤية

شيء جديد. وقدم لها قطعة سمك أخرى وأخذ مثلها لنفسه. وهي تراقبه كانت تفكر بشيء واحد ضروري لإكمال سعادتها.. وسألته: «جاك..».

«لقد سألتك المرة الماضية عن.. لويس ترينشار».

ووضع شوكته من يده بحدة، ولاحظت أن الإشعاع غادر عيناه:

«وماذا عنه؟».

«ألم تسمع.. أي شيء عنه؟».

«قلت لك.. لا».

«فكرت أن أسألك فقط».

فقال بعناية:

«ستيلا.. لست أدري ما هذا الهاجس الذي يمتلكك ولا معناه.. كل ما أستطيع أن أقوله هو أن ما من عامل أو عامل في الغابات يدعى لويس ترينشار في هذه المنطقة».

ونظرت اليه بائسة، وقد تكدرت لأنها أفسدت الجو الرائع بينهما:

«آسفة».

«لا شيء يستحق الاسف».

«يبدو عليك الإنزعاج..».

«لست منزعجاً.. ولكنني قلت لك من قبل أن ما من رجل هنا بهذا الإسم ولا أحب بحث الأمر ثانية».

وأخذ كوبها يملأه من جديد بالعصير:

«هذا جيد للفتيات الناضجات».

ولكنها لاحظت، مع ابتسامته، أن هناك قليلاً من التوتر في عينيه. وتابعا وتناول الطعام، وفجأة وضعت ستيلا يدها

www.elromancia.com

على فمها:

«سيدة بلومر! أتعلم كنت اتمتع بطعامي لدرجة أنني نسيتها».

فمازحها جاك:

«حتى مع التواء كاحلك؟».

«لقد تمتعت بالسمك.. جاك يجب أن أعود».

وحاولت الوقوف، ولكن ما أن لامس قدمها المربوط الأرض حتى صرخت من الألم. فسألها مرحاً:

«وكيف تظنين نفسك ستعودين؟».

وضحك:

«أستطيع تصورك تقفزين على قدم واحد من هنا حتى الفندق!».

وشاهد التعبير المتألم في عينيها فمد يده ليمسك بيدها:

«ستيلا.. ستيلا.. يا حلوتي.. أتتصورين أنني سأسمح لك بهذا؟».

فانقطعت أنفاسها:

«وماذا إذن.. أوه جاك.. كم أنا سخيفة، لا بد أن لديك سيارة».

وبرزت في عينيه نظرات الحنان.. وقال لها:

«صحيح.. ولكنها في التصليح الآن».

«وماذا سأفعل؟».

وقال ببطء:

«ستضطري للعودة كما جئت.. ولكن.. سأحملك».

فقالت غير مصدقة:

«لا يمكن أن تفعل هذا!».

«لست أرى طريقة أخرى».

وصمت قليلاً:

«معك حق.. ستيلا.. لقد وجدتها!».

«صحيح؟».

«إنه الحل المثالي.. إبقي هنا وسأعود بعد دقيقة».

وخرج من الغرفة ليعود بعد بضع دقائق.. وكان وجهه يشع بحب الإزعاج كطفل صغير لا كرجل.

«سيدتي.. سيارتك الليموزين بانتظارك».

وحملها بشيء من الفخامة المصطنعة عن السرير وخرج بها.. أمام المنزل كان يقف عربة يد لنقل الحطب بالية وقديمة.

«أوه.. جاك!».

وانفجرت بالضحك حتى أنها شرقت.. فقال متظاهراً بالحزن:

«أليست سيدتي راضية؟ قد تكون العربة المحترمة قديمة ولكنني أؤكد لك أنها صالحة للإستعمال».

«إنها لا تقدر بثمن يا جاك. وهل ستجرني فيها حقاً؟».

«طبعاً.. فأنا رجل متعدد المنافع.. أصلح الكواحل المصابة، أطبخ، أجر عربات اليد.. هل سيدتي مستعدة؟».

ووضعها في العربة.. وانطلقا في رحلة العودة. كانت رحلة مرحة عبر الغابة. والطريق واضح ونظيف، ولم يجد جاك أي جهد في دفع العربة نزولاً من الجبل. ولكن في الغابة الكثيفة، أصبحت الأمور أصعب بقليل فالطريق مملوء بالأعشاب البرية واضطر الى المناورة بالعربة حول

الجذور والصخور المرتفعة.

وعلق دولاب العربة بين كتلة من الجذور وتوقفت بسرعة وعنف حتى أن جاك لم يتنبه وترك العربة من يديه، وانزلقت من العربة الى الأرض ولكنه سارع للإمساك بها قبل أن تصل. وانفجرا بالضحك لدرجة أن كليهما لم يستطع التنفس بسهولة للحظات.. وأخيراً استطاع أن يشهق بسؤال. «ستيلا.. ستيلا.. هل أنت بخير؟».

فشهقت بدورها: «أجل.. ولكنني لم أقع جيداً».

«إذن لن تطرد سيدتي خادمها المطيع؟».

كان يمسك بيدها، وعندما استعادت توازنها وخالت أنه سيساعدها للصعود الى العربة، أحست بذراعيه تشتدان حولها، وسمعته يهمس بنعومة:

«ستيلا.. أوه ستيلا!».

وأحست بشفتيه تلامسان شعرها.. ثم ساعدها لتعود الى العربة، وتابعا الطريق. وعندما خرجا من بين الأشجار نحو العراء، توقف ليمسح وجهه من العرق، وأدركت كم هو تعب.

وأصبح الطريق سهل الآن. وتمكن جاك من الإندفاع بسهولة أكثر. أحيانا عندما كانت الطريق تنحدر بقوة كان يتظاهر بترك العربة تندحرج لوحدها ويضحك للرعب الذي تحس به ستيلا خشية الوقوع.

ووصلا الساقية، وتساءلت ستيلا كيف سيقترح جاك أن يقطعاها. فرد عليها «بسهولة» وحملها من العربة وطلب أن تضع يدها حول عنقه وقطع بها بسرعة فوق الصخور ليصل الضفة الأخرى وأنزلها فوق الرمل، وعاد ليحمل العربة،

وهكذا تابعا الطريق.

وسألت ستيلا عندما بدت لها مباني الفندق:

«وماذا ستقول السيدة بلومر عني متى شاهدتني أعود هكذا؟».

الرد كان سخيفاً لدرجة أن عاودا الضحك، وكانا لا يزالان يضحكان عندما وصلا الفندق. وتجمع بعض الفضوليين حولهما ورافقاهما الى الداخل. وظهرت السيدة بلومر في الحديقة. قلقة، ولكن نظرة واحدة من عيني ستيلا المرحة طمئنتها. ولمحت ستيلا موظفة الإستقبال، نيل، وجه الفتاة بارد ومعادٍ. ونظرت الى جاك.. لم يبدو عليه أنه شاهدها.

عند باب مقرها، ساعدها جاك على الخروج من العربة.. وبمساعدة السيدة بلومر على دعمها من جهة، وجاك من الجهة الأخرى.. تمكنت ستيلا من القفز على قدم واحدة الى الداخل.

عندما استقرت فوق الفراش.. لم يحاول جاك إطالة بقاءه.. بل نظر الى ساعته، وابتسم، ثم ودعها وخرج.

في اليوم التالي.. كان براين سيأخذ والدته بالسيارة الى البلدة المجاورة لتشتري بعض الأغراض. وأصرت السيدة بلومر على أن تذهب ستيلا معهما لرؤية طبيب.. ومع أن ستيلا كانت تعتقد أن الأمر ليس ضرورياً، إلا أن إصرار السيدة بلومر دفعها للقبول.

عندما انتزع الطبيب الرباط وتفحص القدم، أكد ما قاله جاك من أن الكاحل ملتوي. ولكن لن تحدث مضاعفات. وهو يعيد الرباط علق على براعة معالجة الكاحل. وحذر

ستيلا بأن تأخذ الأمور بالهوينا، وأن لا تحاول السير قريباً.

بعد أن سمع براين ما قاله الطبيب، توقف عند محل لبيع الكتب واشترى لستيلا بعض الأشياء لتقرأها، وأهدتها والدته بعض قماش التطريز لتعمل فيه.. فضحك براين عندما شاهد القماش:

«أليس التطريز للنساء الأكبر سناً؟».

ونظرت اليه أمه نظرة لم يفت ستيلا فهمها.

ومع أن ستيلا اضطرت أن لا تتحرك، فقد مر الوقت لطيفاً بما فيه الكفاية. نزلاء الفندق كلهم كانوا معجبين بالفتاة الجميلة الصغيرة الشقراء ذات العيون البنفسجية.. ومن حين لآخر كان عدد منهم يجد الوقت الكافي للجلوس معها في الحديقة لتبادل الحديث.

معظم وقتها كانت تمضيه في القراءة، فالكتب التي اشتراها لها براين كانت مثيرة للإهتمام. ومع ذلك كانت تجد عينيها انجرفتا عن الكتاب لتحدقا بالجبال، وأفكارها تسرح الى هناك.

فهل وقعت في حب جاك؟ حاولت أن تقنع نفسها أن ما تشعر به نحوه ليس إلا مشاعر عابرة، ولا يمكن لها أن تنمو لتصبح عاطفة عميقة لا تعود قادرة على التكيف معها.

التفكير بجاك كان يقودها للتفكير بنيل.. بقدر ما كان تصرف النزلاء تجاهها ودياً، كانت عدائية الفتاة تتزايد.. من الواضح أنها مغرمة بجاك.. فهل تحبه حقاً؟ وكيف هو تجاهها؟ هل ينظر اليها بنفس الحنان الذي بدا لها في عينيه؟ هناك رجال يفعلون هذا، وهي تعرف، يجعلون كل فتاة يتحدثون اليها تحس بأنها هي المميزة.

في احدى الأمسيات قررت أن تكتب لإليانا.. فبالرغم من رسائلها المنتظمة لها إلا أنها كانت حول أمها وحالتها.. ولكنها اليوم ستقول لها.. بكل عفوية يمكن للكلمات أن تحتلها شكوكها حول لويس. وأنه غير معروف في المنطقة، وأنها بدأت تتساءل عما إذا كان آل بينسون مخطئون، وأنهم التقوه في مكان آخر..

في الأمسيات كان براين يسليها.. وكانت تحس بالسعادة لرفقتها شخص لا يطلق الشرارات في ترابينها كلما كانت قربه.. وبدا براين شخص مرح، ودود دائماً، لا يتعب من الجلوس معها قرب المدفأة والحديث. وكان على الدوام يظهر موهبة في إبراز ما يصفه بطريقة حية، وهكذا لم تكن تسأم ستيلا أبداً منه. وكان براين قد وجد لعبة «مونوبولي» قديمة أخذ أربعتهم يمضون الأمسيات يلعبون ويتناقشون حول الأملاك التي توفرها هذه اللعبة.

صباح أحد الأيام، كانت تجلس والسيدة بلومر في الحديقة مستغرقة في القراءة.. ووقع ظل فوق صفحات الكتاب، فرفعت نظرها الى فوق..

«جاك؟.. أوه جاك.. هذا أنت!».

«مرحباً ستيلا».

وجهه لم يكن مسترخياً، ولكن عيناه كانتا ناعمتان لرؤيتها.. وابتسم لها بعد لحظات:

«حسناً ستيلا.. هل أذهب أم ستدعيني للجلوس معك؟».

فشهقت:

«أوه.. يا لأخلاقي..!».

ودون تفكير حاولت الوقوف. فدفعها بلطف لتعود الى كرسيها:

«إهدأي! قدمك لا زالت هشة».

وضحكت.. وتلاشى ارتباكها لمزاحه.. واستدارت نحو السيدة بلومر:

«سيدة بلومر، هذا السيد ميتشل».

فقالت السيدة بلومر:

«لقد التقينا. ألا تذكري أنه من ساعدك للنزول من الجبل؟».

وقال جاك بكل أدب، يحني رأسه نحو العجوز:

«أرجو أن لا تمانعي بالإنضمام اليكما سيدتي».

فردت بصوت ودود:

«من الجيد لستيلا أن يكون معها رفقة».

ولكن ستيلا لاحظت فقدان الحرارة في لهجتها..

وأكملت السيدة:

«ستيلا عزيزتي.. إذا لمحت أحد السقاة أطلبي لنا إبريق شاي طازج».

فابتسم جاك لها:

«شكراً سيدتي.. ولكنني تناولت المرطبات لتوي».

فنظرت السيدة بلومر الى ساعتها:

«حسناً، في هذه الحالة يجب أن أذهب لأنهي كتابة رسالة.. فالبريد يذهب بعد نصف ساعة.. أعذرني سيد ميتشل».

وقالت ستيلا بعد ذهابها:

«تظن أن عليها أن تكون لبقة».

«إنها إمرأة عاقلة.. فلقد أردت أن أكون لوحدي معك. كيف حالك الآن؟». «أفضل حالاً».

«أنا مسرور بهذا. لقد فكرت بك كثيراً.. وهذه أول فرصة تسنح لي للمجيء الى هنا.. هناك بعض المشاكل التي أزعجتني في الغابة».

إذن ليس الأمر إنه لم يكن يريد أن يأتي.. وتابع كلامه:

«ألم تتمكني من السير بعد ستيلا؟».

وأحست ستيلا في تلك اللحظة لو أن السعادة هي الوحيدة التي تدفعها للسير فوق الأرض، لكانت أسرع من أي غزال.. وردت عليه:

«قليلاً.. مع أنني حتى الآن أستخدم هذه العكازات لأنتقل من الغرفة الى الحديقة».

«هل زرت الطبيب؟».

«أجل.. في اليوم التالي للحادثة».

«وهل قال أنه التواء؟».

«أجل، ولقد أطراك الطبيب على الطريقة التي عالجتني بها يا جاك».

فابتسم:

«أنا سعيد لسماع هذا.. ولكنني أكثر سعادة لمعرفة أنك قد تحسنت. لدي اقتراح أتقدم به اليك، ولكنني أريد رؤيتك تسيرين أولاً».

«إقتراح؟».

«ليس من النوع الذي يعطي صديقتك السيدة بلومر الرعدة.. مع أنه يسعدني فوق الوصف. دعيني أراك

www.elromancia.com

تسيرين».

فتظاهرت «بالتكشير»:

«أوه جاك! أنت مستبد.. هل قال لك أحد هذا من قبل؟».

ووقفت مبعدة ثقلها عن القدم المتألمة، وببطء أخذت تعرج من كرسيها الى شجرة قريبة.. فسمعته يناديها.

«هذا يكفي، لم أطلب ابتعادك عن حياتي».

وسألته قبل أن تستطيع منع نفسها:

«وهل يزعجك هذا؟».

وأحست بخديها تحمران خجلاً حتى أنظاره، وقال بعد سكوت:

«أجل يا ستيلا.. أنت تعرفين أنني سأنزعج».

وأحست بانقطاع أنفاسها، وعادت قفزاً الى الكرسي.. وانقطاع نفسها لا علاقة له بالجهد الجسدي:

«أوه.. حسناً.. لقد شاهدتني أسير.. وقلت شيئاً عن إقتراح؟».

«لدي في الغد يوم فراغ. فهل تحبين قضاءه معي.. فكرت أن نذهب في نزهة».

«سأحب هذا.. أين سنذهب؟».

«ستكون مفاجئة».

«ولكن.. لن أستطيع السير كثيراً، وقد لا تتمتع..».

«لقد استعدت سيارتي، فلن نحتاج إذن لعربة اليد.. ولن يكون هناك كثير من المشي يا ستيلا. ولقد أرضيتني بإظهارك لي القدرة على السير بضع خطوات.. ولكن إذا لم تكوني قادرة.. فلدي ذراعين قويين وأنت تعرفين

هذا».

وردت بعد لحظات بصوت منخفض:

«صحيح.. أعرف هذا».

«ستأتي إذن؟».

«بالطبع..».

وبدا الرضى الحقيقي على وجهه.. وسألته:

«وماذا أجلب معي».

«لنرى.. لدي الطعام الكافي وكذلك الشراب، وهذا يبقى أمامنا.. أنت فقط».

«أوه جاك أنت أكثر من طيب معي».

«أنا سعيد بهذا».

ونظر الى ساعته وقال:

«يجب أن أذهب الآن.. الى الغد إذن، حوالي التاسعة؟».

«سأكون مستعدة».

- ٦ -

كانت لا تزال تبتسم عندما عادت السيدة بلومر للإنضمام اليها وقالت بهدوء:

«لقد شاهدت السيد ميتشل يذهب».

فاستدارت ستيلا الى المرأة المسنة بحرارة:

«أجل.. وشكراً لك على ادعائك بأنك مضطرة لإكمال رسالة».

وبدا على السيدة القلق:

«قدّرت لي هذا؟ أجل أظن أنك قدرتها.. ولكنني لا أستطيع منع نفسي من التساؤل ما إذا كنت قد فعلت الصواب».

«ما كنت بحاجة لتفعلي هذا.. فلم نتحدث بالأسرار. لقد طلب مني مرافقته في نزهة غداً».

«ستيلا! وهل تظني أن هذا من الحكمة؟».

«أتعني بسبب قدمي؟».

«أنا..».

«إنها أفضل حالاً، وأنت تعرفي.. وأستطيع السير مسافة دون عكاز.».

«ستيلا.. كل شيء مكتوب على وجهك يا عزيزتي.. وكم كنت أتمنى لو أعجبت أكثر ببراين».

«ولكنني معجبة به.. حقاً».

«معجبة أجل.. ولكنك لا تحبينه.. أليس كذلك».

«ولكنني لا أعرفه منذ زمن طويل».

«لا.. ولكنك لم تعرفي السيد ميتشل منذ زمن طويل كذلك».

«صحيح».

«وهل تحبينه يا ستيلا؟.. هاك.. لقد قلتها! ستعتبريني إمرأة عجوز متطفلة..».

فقاطعتها ستيلا:

«لا.. لا يمكن أن تكوني هكذا».

«أهتم بك من كل قلبي يا عزيزتي.. وأنا متعلقة بك.. وتعرفين كم أحب أن أراك سعيدة».

«ولكنني سعيدة.. أسعد من أي وقت منذ زمن طويل».

«أعرف هذا، فهو مكتوب على وجهك كما قلت.. أنت شفافة جداً يا عزيزتي وأتمنى أن تعيدي النظر.. ذلك الرجل، السيد ميتشل، ماذا يعمل؟».

«مسؤول غابات».

«مسؤول غابات؟».

«تقولين هذا وكأن العمل لا يعني شيئاً».

«ولكنه عمل مهم.. وعلى المرء أن يدرس جيداً ليصبح

www.liromancia.com

عالماً بالغابات. وما عليك سوى سماعه يتكلم لتعرفي أنه ذكي. إنه رجل طيب».

«ربما.. ولكن حياتك هي في بلدك، كندا، حيث تنتمين».

«ولكن براين لا يسكن كندا، ومع ذلك ستسعدين لو تزوجته».

«هذا لا يكفي.. ولن أتزوج رجلاً لمجرد أنه أهل للثقة».

«ولكنك لم تردي على سؤالي يا عزيزتي».

«أي سؤال؟».

«نحو السيد ميتشل».

كان الوقت قد قارب الظهيرة.. وسراب الحرارة يتراقص فوق الصخور.. وأخذ النحل ينتقل بين زهرة وأخرى، وصرح عصفور أصفر فوق شجرة قريبة.. وتوجهت عينا ستيلا نحو الجبال وكأنها ستجد الجواب هناك.. وأخيراً أدارت رأسها ببطء الى السيدة بلومر وقالت بهدوء:

«أجل.. أحبه.. أحب جاك.. ولكن هذا لا يعني أنه يحبني، أو أنه سيتزوجني.. وربما لن يتزوج مطلقاً».

«وستذهبي معه في الغد؟».

«إنها مجرد نزهة.. ولا تعني شيئاً».

«ربما أنت محقة.. وماذا حل بخصوص لويس؟».

«وماذا عنه؟».

«لقد قلت أنك تظنين أن السيد ميتشل يخبيء شيئاً عنك».

«هذا صحيح».

«لا أستطيع الرد على هذا السؤال.. ولكنني لا أظن أن السيد ميتشل يمكن أن يخدعني. وصدقيني، لا أظن أنه على علاقة بأي غموض يحيط بلويس».

وهكذا أنهت السيدة بلومر جدالها، وأخذت تقيس ما حاكته لترى إذا كان مناسباً.. وأحست ستيلا أنها تعطي نفسها فرصة للتفكير. وعندما رفعت نظرها عن عملها ثانية، كان في عينيها الدفء والإبتسامة كالعادة وقالت:

«أخرجي معه في الغد ستيلا.. وتمتعي بيومك.. فأنت تستحقين».

قبل أن تشرق الشمس بوقت طويل، كانت ستيلا مستيقظة. كانت متشوقة لتعرف ما إذا كان النهار جميل أم لا. فقفزت من سريرها وقد نسيت قدمها. وبارتكاز وزنها على قدمها أحست بالألم.. ولكن بعد قليل تمكنت من العرج حتى النافذة.

كانت العتمة لا زالت موجودة، والسماء رمادية قاتمة، وقمم الجبال كصورة منعكسة أمامها. أين سيأخذها جاك يا ترى؟ قال أن النزهة ستكون مفاجئة.. ولكن عندما نظرت الى الجبال الغامضة في العتمة التي أخذت تتلاشى، أدركت أن لا أهمية الى أين تذهب طالما كانت معه. يوم كامل يمتد أمامها، يوم كامل تقضيه لوحدها مع جاك.. الفكرة نفسها نعمة سماوية.

كانت قد تناولت فطارها بسرعة، دون أن تتذوقه.. وها هي تجلس في الحديقة تحمل كتاباً.. تتساءل متى سيصل جاك. ولكنها لم تكن تنهي بضع سطور، حتى أخذت عيناها تتحول عن الكلمات، وعقلها لا يستوعب المعاني.

وأحست بقلبها يقفز عندما شاهدت الطيف الطويل يتقدم نحوها.. أخيراً وصل.. ووقف يبتسم لها:

«ستيلا! هل انتظرت طويلاً؟».

«ليس كثيراً».

«دعيني أساعدك».

فضحكت محتجة:

«ولكنني على ما يرام.. حقاً».

لمسته كانت ناعمة ولكنها أرسلت شرارات لا مفر منها من الإثارة عبر ذراعها.. وقال لها:

«يجب أن تحذري.. أريدك التمتع بيومك ولن يحدث هذا إذا تألمت».

بعد أن وقفت، إبتعد عنها قليلاً وهو يتفحصها:

«دعيني أنظر اليك.. رائعة جداً».

وهو ينطلق بسيارته قال لها أنها سترى جزءاً آخر مختلف من الجبال.. السماء كانت زرقاء صافية مع قليل من الغيم الأبيض مستقرة فوق القمم.. وأخذت الطريق تتلوى صعوداً، وعند كل استدارة لها كانت تطل أمامها مناظر مختلفة. وكانت المناظر تقطع الأنفاس بجمالها حتى أن ستيلا أخذت تحملق من حولها دون كلام. في الأسفل، بعيداً في شق بين جبلين، رأت لمعان مياه نهر.. والى جانب الطريق مرج واسع مليء بأزهار برية، برتقالية، بيضاء، وصفراء، تتراقص وتتمايل مع النسيم.. ويخيم فوق كل هذا هالة من الصفاء والسكون والإتساع. وأوقف جاك السيارة ثم مد ذراعه على ظهر المقعد فوق كتفيها، وقال:

«أيعجبك هذا؟».

والتفتت اليه تهز رأسها موافقة دون كلام. عيناها دامعتان وعواطفها في قمة التأثر لمجرد وجوده معها ومشاركتها جمال المكان..

وأنزل ذراعه عن المقعد ليضعها على كتفيها. ولم تحس ستيلا كم مضى عليهما وهما يجلسان هكذا بالتصاق لا يحتاج الى كلمات. كل ما أحسته هو أنه عندما رفع ذراعه عن كتفيها ليدير المحرك ثانية، أحست بالضياع.

ووصلا الى بركة لنهر، جلسا على ضفتها للتمتع بنزهتهما.. إنه مكان هادىء وجميل، مكان بعيد عن الممرات المعروفة التي يستخدمها زوار الجبال ونادراً ما يكتشفونه. وكانت الشمس تتسلل عبر الأشجار الباسقة لترمي بأشعتها فوق الصخور وتتسبب بالظلال.. ومن فوق صخرة عالية يتدفق شلال تجري تحته كتل كبيرة من الرغوة البيضاء، تعود لتصب في البركة.. وكان الطحلب يتعلق بالصخور، وتحت الشجر مئات من نبات الفطر، حذرها جاك منها بأنها سامة.. لا تؤكل. فاستدارت اليه ضاحكة:

«أعرف هذا، ولكن أليس منظرها جميل؟ وانظر الى هذه الحمراء اللون والبقع البيضاء فيها.. لقد خرجت الى هنا من أرض الخيال مباشرة. أتعرف جاك.. أظنك جئت بي الى وادي الجنيات. ولو أغمضت عيني، ستخرج الجنيات من خلف هذا الفطر وتبدأ بالرقص».

ومد جاك يده ليداعب شعرها وضحك.

«أتعلمين.. أنت لا زلت طفلة بطرق عديدة.. هل كنت تؤمنين بالجنيات وأنت صغيرة ستيلا؟».

«بالطبع! ألا يؤمن بها كل الأطفال؟».

ودون وعي منها استرجعت صورة لويس عندما كان يضحك من خوفها من الغيلان وسط الأحراج.. ولكن هذا كان في الماضي.. وصرفت الصورة من ذهنها بعناد. لن تسمح لنفسها بالتفكير بلويس اليوم، فلو فكرت به، ستتحدث عنه، وإذا تحدثت عنه فستفسد هذا اليوم الجميل.

ونظرت الى جاك لتراه يبتسم لها، قانعاً، خالياً من الهموم، وأحست بالغبطة لأنها لم تذكر لويس.. وقال لها:

«جائعة؟».

«أتضور جوعاً!».

«كما اعتقدت تماماً».

«أولاً سأبرد الشراب».

واخرج زجاجات من عصير البرتقال غمسها في مياه الجبل الباردة..

«هذه ستطفيء ظمأك عندما يشتد الحر».

ثم أخرج رزمة من السندويشات وضعها في طبق من كرتون:

«سنأكل هذه الآن.. كمقبلات فقط لفتح الشهية. وما تبقى لما بعد».

وقضمت السندويش:

«همم.. إنها لذيذة.. أنت مكتفٍ بنفسك يا جاك.. أليس كذلك؟».

«أنا مضطر لهذا».

«ألم ترغب أبداً في الزواج؟».

لحظة قالتها، أحست برغبة في قطع لسانها.. ولكن ربما لن يأخذ كلامها حسب ما يوحي اليه. وقال بهدوء:

«أنا لست ذلك الأعزب العنيد. إذا كان هذا ما تتصورين.. ولكن أية فتاة قد تقبل مشاركة الحياة مع مسؤول غابات؟ الحياة هنا مستوحشة».

«لا بد أن هناك فتيات تعجبهن هذه الحياة».

«أوه ولكن لن تفعل هذا «أية فتاة».. ثم أنا لست بحاجة لمدبرة منزل. وعندما أتزوج.. سيكون هذا إذا كانت الفتاة التي أحبها تقبل في مشاركتي حياتي هذه..».

وتلاشى صوته، وحملت عيناه نظرة متباعدة.. وأحست أنه يفكر بفتاة محددة. وتصاعد الألم داخلها.

وفجأة قال ليغير الموضوع:

«أتعرفين كيف تجعلين حجراً يسبح فوق الماء؟».

وأمسك بيده حصاة ثم وقف متقدماً الى حافة الماء، وبحركة دون جهد رمى الحصاة، وراقبتها ستيلا تقفز فوق الماء بسرعة ونعومة، تكدر الماء قليلاً بحركتها. وأحست بالبهجة فقالت:

«هذا سهل».

والتقطت حصاة لها، وقلدت ما فعل فاصطدمت الحصاة في الماء، وغرقت. فتنهدت ستيلا، وغرقت حصاة أخرى:

«أوه.. يا عزيزي.. لن أستطيع فعل هذا. أظن أن جنيات الوادي قد يساعدني؟».

«لن تحتاجي للجنيات.. سأعلمك بنفسي».

وتقدم منها ليمسك بذراعها ويطوحها كمن يرمي حجراً:

«هكذا.. أيمكن أن تفعليه؟».

www.elromancia.com

«سأجرب».

مقطوعة الأنفاس لقربه، انحنت واختارت حصاة، ولا بد أن حركتها الآن كانت أفضل فعلى الرغم من أنها حصاتها لم تسبح فوق الماء كحصاة جاك إلا أنها لم تغرق كما فعلت سابقها.

وصاح بابتهاج.

وهي تنحني لتلتقط حصاة أخرى، نظرت الى وجهه، كان يبدو مرحاً خالياً من الهموم، وميال للمشاغبة وكأنه الطفل.. وهكذا تحبه.. عندما يكون مزاجه للعب. ولكي تستبقيه هكذا يجب أن تنغمس مع مزاجه، وهكذا أرسلت حجراً آخر فوق الماء.

بعد فترة تعبا من هذه اللعبة.. وعادا الى الحديث، وبدأ جاك حديثه عن الجبال والغابات.. وأخبرها عن واجباته كمسؤول أحراج.. وأخبرها عن الأشجار التي تنمو عند سفوح الجبال، وعن الأزهار البرية والعصافير والطيور.. وبينما كانت ستيلا تراقب وجهه وتصغي اليه بدأت تفهم كم يعني عمله له. إنهاً حياته، وهو يحبها.

ولم تحس بكم أمضيا من وقت في الحديث، ولكنه نظر الى الشمس وقال:

«لا بد أن معدتك عادت خاوية كما كانت».

«أنا هنا دائماً جائعة يا جاك. لقد نظرت الى الشمس، أتعرف كم الساعة بهذه الطريقة».

«أحياناً أنسى أن في يدي ساعة».

وقفز فوق الصخر، وانحنى فوق البركة حيث وضع زجاجات العصير. وعاد الى حيث يجلسان، ووضع

الزجاجة على خدها، دون إنذار.. البرودة صعقتها فصرخت:

«متوحش!».

بعد أن انتهيا من تناول سندويشات من لحم الدجاج، وبعض الفاكهة وعصير البرتقال، قالت ستيلا متنهدة:

«كان الغداء رائعاً!».

«أنا سعيد بهذا، هل تمتعت بنزهتك كفاية كي تكرريها ثانية؟».

لمعان عينيها كان الرد الوحيد الذي يحتاجه. ونظر اليها مطولاً، وفي عينيه الرضى، ثم مد لها يده:

«تعالي ستيلا.. أظن الوقت حان للعودة».

النزول الى النهر لم يكن صعباً، فقد كانت تجلس على صخرة هنا أو هناك ثم تتابع السير نزولاً. ولكن الصعود كان أمراً مختلفاً. وراقبت جاك يقفز من صخرة الى أخرى بسهولة ورشاقة، وعلمت بأنها، وفي أحسن حالاتها، لن تستطيع اللحاق به. واستدار اليها، ولاحظ الصعوبة التي تعايشها فابتسم. وأنزل السلة عن كتفه، وعاد اليها.

«آسف ستيلا.. نسيت أنك بحاجة للمساعدة صعوداً. ولكنك نزلت بسهولة!».

«كنت أنزلق، تعني».

«وقانون الجاذبية يمنعك من التزحلق الى فوق».

وضحكا.. ثم، وكأنما لا وزن لها، حملها بين ذراعيه، وتسلق بها فوق الصخور. وأخذ قلبها يخفق بجنون وهي تتحسس قساوة جسده.. وأحست بما أحست به المرة الماضية التي حملها فيها. ولكنها يومها لم ترغب في أن

تعترف لنفسها بهذه المشاعر.

عند قمة الصخور توقف.. فقالت:

«أستطيع السير الآن».

«أعلم».

ورفعها اليه أكثر حتى أحست بشفتيه تلامسان شعرها، وهمس:

«ستيلا!» ثم أنزلها.

لم تكن السيارة بعيدة عنهما، وأكملا طريقهما بصمت. وقالت له بعد وصولهما الى الفندق:

«كان يوماً رائعاً».

«إنه الأول من عدة أيام كما آمل.. وداعاً ستيلا».

وهو يساعدها على الخروج من السيارة جذبها اليه، ومرة ثانية أحست بشفتيه، بنعومة الريش، على شعرها.

وأحست ستيلا بالتعب.. كان يومها طويلاً، وجميلاً، ولكنها سارت أكثر مما فعلت منذ أن آذت قدمها. ولقد بدأت القدم تؤلمها. لأن أكثر من أي شيء في الدنيا، تريد الآن أن تذهب الى غرفتها لتستريح. ولو استطاعت فستتخلى بكل طيبة خاطر عن العشاء لتنام.. ولكنها تعلم أن السيدة بلومر ستتكدر.. لذلك بعد الحمام وشيء من الراحة ستبدأ الإستعداد للعشاء.. خاصة أنها قرأت لوحة في مدخل الفندق يعلن عن حفلة تنكرية بعد العشاء للأزياء المبتكرة لشخصيات الكتب أو عناوينها.

وتذكرت قرأت مرة كتاباً بعنوان «زهر البرتقال» فسارعت للتفتيش عن لوحة من الكرتون رسمت فوقها برتقالة كبيرة، ولونتها ثم ثبتتها على ظهر سترتها الصوفية.

بعد العشاء ذهبت ستيلا مع السيدة بلومر الى الصالون الكبير. كانت الغرفة قد امتلأت بالنزلاء. وعندما نظرت حولها أحست بالندم، فمعظم النزلاء تجشموا عناء كبيراً في تحضير أزيائهم. ومع أن حفلة التحكيم لم تبدأ بعد فقد كان معظمهم يتجولون ويبدون الإعجاب بأزياء بعضهم البعض ويهنئون بعضهم على الإبداع.

ومع أن ستيلا لم تكن تشعر بالرغبة، إلا أنها حاولت التكيف مع جو الأمسية. وكانت والسيدة بلومر تجلسان قرب النار عندما انضمت اليهما السيدة تراست وابنها، وكان براين يظهر رائعاً في ثوب «روبن هود» بينما أمه كانت ترتدي ثوب الملكة في رواية الأقزام السبعة.

وبدأت لجنة الحكم، وأخذ كل مشارك بدوره يمر أمام اللجنة ويحاول النزلاء معرفة ماذا يمثل. وعندما يتم التعرف على الشخصية تهب عاصفة من التصفيق والتهليل. وعلى قدر حجم التصفيق يتم إعطاء العلامة.

وعندما صعد براين الى المنصة، ضجت القاعة بالأصوات، فإضافة لكونه مشهور، كانت صورته رسمية وصاعقة في زي «روبن هود».

ثم جاء دور ستيلا، وسرعان ما تعرف الجميع على عنوان الكتاب الذي تضع رمزه، وبالرغم من التصفيق والإستحسان إلا أنهما لم يكونا كالمطلوب خاصة وأنها محبوبة بين النزلاء.

ووقف مدير الفندق يعلن النتيجة، وكان براين من بين الناجحين وتلقى زجاجة عطر جائزة له، قدمتها له نيل، موظفة الإستقبال، وهي تسلمه، مدت وجهها اليه ليقبلها.

عندما عاد فتح الزجاجة لعرض عطرها على الموجودين، وصدف مرور نيل قربهم فسارعت تقول بصوت كله إثارة، ترمق ستيلا:

«هل بدأت باستخدام هديتك؟».

«عظيمة..».

وسألته نيل بدلال:

«أتستاهل القبلة؟».

«قطعاً!».

والتفتت نيل الى ستيلا:

«ألم يكن لديك مانع آنسة اليستير؟».

«بالطبع لا».

وأخذت ستيلا تتساءل عن سبب تركيز الفتاة على موضوع القبلة، وبنفس الوقت قلقت للهجتها القاسية.. وسألها براين:

«وهل كان يجب أن تمانع؟».

فردت بإدعاء الجهل:

«ربما لا. الأمر فقط.. كنتما تمضيان وقتاً طويلاً معاً. فظننت.. ربما.. ولكن من جهة أخرى.. هناك الرجل الذي.. أوه.. أنا آسفة آنسة اليستير. ما كان يجب أن أقول هذا، فربما السيد تراست لا يعرف».

فسألها براين بهدوء:

«أعرف ماذا؟».

فصمتت نيل لتتكلم ستيلا:

«إنها تحاول أن تقول لك أنني أمضيت يومي مع جاك ميتشل.. جاك مسؤول الغابة. ألا تذكره.. الرجل الذي

ساعدني لنزول الجبل يوم أصيب كاحلي».

فقال براين بلهجة غير المهتم:

«أوه.. ذلك الرجل.. لم تقول لي هذا يا ستيلا».

استمر الإهتمام المؤدب يضفي على لهجة براين.

«فهمت.. لم أكن أعلم أنك أصبحت صديقة له».

«طلب مني الخروج معه.. وقضينا نزهة معاً.. وهذا كل شيء».

وكانت نيل تراقبها جيداً، ونظرة خطرة في عينيها وهي تقول:

«لا أظن أنه يعني القليل هكذا للآنسة اليستير. فقد كان بينهما قبلة.. أليس كذلك آنسة اليستير؟».

«قبلة؟».

«أجل، ولهذا لم أظن أنك ستهتمين لو قبلت براين.. أعني أن قبلتنا لم تعنِ شيئاً أليس كذلك؟».

وأحست بالغضب والإحراج.. لماذا تحاول هذه الفتاة جاهدة أن تخلق لها مشكلة؟ وقالت ستيلا بغضب:

«ما كل هذا على كل الأحوال؟ أهو تحقيق؟ إذا أردت تقبيل أحد فهذا من شأني.. ولكن بما أنك شاهدته فيجب أن تكوني عرفت أنها مجرد قبلة سريعة. فلماذا تحاولين تصويرها وكأنها عناق محموم؟».

فتراجعت نيل على مضض:

«أعتقد أنها لم تكن قبلة عاطفة. ولكنني لست أدري ما سبقها.. على كل الأحوال.. كنتما معاً طوال اليوم.. لوحدكما».

فطالبت ستيلا بشراسة:

www.elromancia.com

«أتمنى أن أعرف ماذا تحاولين الوصول اليه. لقد قررت قضاء يومي مع جاك ميتشل.. فهل هناك من خطأ بهذا؟».

«لا».

«ولو كان هناك خطأ.. فما شأنك أنت؟ أنا نزيلة هنا».

فأطرقت نيل مدعية التردد:

والتفتت الى براين:

«أترى سيد تراست.. جاك ميتشل له سمعة سيئة مع النساء. والكثيرات ممن كان ضيوفاً هنا يمكن أن يخبرنك بهذا آنسة اليستير.. فلا تغرنك صورة مسؤول الغابات القوي الصامت».

فصرخت ستيلا بها بحرارة:

«أستطيع العناية بنفسي».

«لا أريدك أن تقعي في حبه، أنت فتاة «لطيفة» آنسة اليستير.. ولا أريد أن أراك تتألمي..».

وأحست ستيلا أن كلمة «لطيفة» لها رنين غريب.. فردت عليها بخشونة:

«لا أظن أن هناك أي خطر من هذا القبيل.. وأرجوك غيري موضوع الحديث».

«هذا صحيح».

وجاءت كلمة براين بنفس اللحظة التي كانت نيل ستفتح فمها لتكمل الحديث، وشكرته في قلبها لتدخله.. وأكمل:

«أظنك أوضحت وجهة نظرك يا آنسة، والآن لنطلب القهوة قبل أن تنقلب السهرة الى جو جدّي».

لم تمكث نيل كثيراً معهم، ولكنها خلال وجودها

استطاعت سحر براين بفتنتها وسرعان ما كان يضحك لها. وعلى العكس، كانت ستيلا صامتة. تحتسي القهوة وتصغي.. ولم يعد هناك ذكر لجاك، ولكن ستيلا أحست أن أحد الموجودين لم ينسه.

وعندما وقفت ستيلا لتذهب بدورها الى النوم، رافقها براين وشبك ذراعه بذراعها وسارا جنباً الى جنب في الظلام.. وصلا الى باب غرفتها.. عندها تلاشى المرح من صوته، وأمسك بيدها:

«ستيلا.. لا تأخذي ما قالته نيل بجدية».

«لن أفعل».

«نيل فتاة طيبة.. وأعرف أنها لم تكن تنوي إغضابك».

«لست غاضبة».

«أرجوك براين!».

ولكنه تابع:

«أعرف كيف تجري الأمور.. خلال النهار أنت ضجرة، ووحيدة، والسيدة بلومر وأمي ليستا رفيقتان مناسبتان لفتاة شابة مثلك.. فإذا حصل والتقيت بمسؤول الغابة.. فهذا أمر طبيعي، لا خطأ لك فيه».

«براين..».

لو أنها تستطيع إسكاته.. فصوتها بدأ يختنق بالدموع.

«يوم ما سأريح نفسي، وأذهب في نزهة قصيرة معك. هل ستحبين هذا ستيلا؟».

وهزت رأسها دون كلام، فتابع:

«تصبحين على خير عزيزتي!».

وجذبها اليه، وللمرة الثانية ذلك اليوم تتلقى قبلة من

www.elromancia.com

رجل.. ثم، وبرحمة من الله، أصبحت وحدها، فدخلت ظلام الغرفة. فخلعت ملابسها بسرعة، وتسللت بين الأغطية..

في صباح أزرق وذهبي.. بعد عدة أيام.. جاء جاك لزيارتها ثانية. وكالعادة، ارتفعت معنويات ستيلا لرؤيته.

«لنرى كيف أصبحت تسيرين».

وعندما سارت أمامه تابع:

«تقدم عظيم، وأظنه يكفي لما في بالي».

«ما هو؟».

«أدخلي وأحضري سترة صوفية. وافعلي كل ما تفعله النساء قبل الخروج ثم تعالي».

«جاك..».

«خمس دقائق فقط».

ومع علمها بمزاجه، عادت قبل انتهاء الخمس دقائق.

«فتاة طيبة، لقد بقي لك نصف دقيقة من الوقت».

«أين سنذهب جاك؟».

ودس يده في ذراعها وقادها الى موقف السيارات.

«سأقول لك في السيارة».

وسألها وهو يخرج من باحة الفندق:

«هل شاهدت الرسوم الملونة على الصخور من قبل».

«في الكتب فقط».

«أعني الحقيقة. على الصخور ذاتها».

«أوه.. لا».

«سنذهب لنزهة ونتناول الغداء ثم سآخذك لتشاهدي الرسوم الملونة على الصخور.. أم أنني أفرض عليك ما لا

ترين، على افتراض أن هذا ما تحبين فعله؟».

وابتسم لها.. فردت الإبتسامة:

«أبداً.. سأحب الذهاب معك».

«جيد».

ومد يده ليمسك بيدها.. وسارت بهما السيارة وهما هكذا لفترة بصمت لا لزوم للكلمات معه. وكانت الطريق التي سارا فيها مجهولة لها. وكالعادة صعقت ستيلا بجمال وروعة الريف. من حين لآخر كانت تستدير عن المناظر، لتنظر الى جاك. وجهه مرتاح، عضلاته بارزة سمراء. اليد التي يقود بها السيارة، تعمل بخبرة عند المنعطفات، أما الأخرى فلا زالت مع يدها. ثم وصلا الى مكان صعب في الطريق تطلبت منه الإنتباه والبراعة، فترك يدها ليسيطر على السيارة بأمان أكثر.

ودخلا الجبال أعمق وأعمق. ودخلا في ممر ضيق الصخور على جانبيه مرتفعة بحدة.. ثم بدأ الطريق يتصاعد.. ثم بوصولهما الى فسحة مستوية، كان المنظر تحتها يصيب بالدوار.

وأوقف السيارة أخيراً فقالت له:

«كم تمتعت بهذه الرحلة».

فابتسم لها ونظرة رضى في عينيه:

«أجل.. الجمال يدفعني للبكاء أحياناً».

«أشعر بنفس الطريقة كذلك. يظن الناس أن المرء يتعود على هذه الجبال، ولكنني أنا لن أتعود عليها.. هل يمكن أن تحبي هذا النمط من الحياة ستيلا؟».

عيناه كانت جادتان ومتساءلتان حتى اضطرت لإشاحة

www.elromancia.com

نظرها عنه.. وماذا يعني كلامه؟ هل هو مجرد سؤال عادي؟ أم أنه يحاول إغاظتها بمزاحه كالعادة؟ لو أنها تعرف الرد على هذا، لعرفت ماذا تقول.. وقالت بهدوء:

«أظن أنها تعجبني جداً».

مرة أخرى تناولا طعامهما قرب الماء، ولكنها هذه المرة كانت مجرد ساقية.. وتراقصت المياه من بين الصخور، صافية حتى أن كل فقاعة منها يمكن رؤيتها.

واستند جاك الى إحدى الصخور وأغمض، عينيه وراقبته ستيلا.. بدا تعباً، وجهه محفور بخطوط وكأنها الشقوق. وفي استكانته الحالية كان يبدو عليه تعبير لامس قلبها. كان هادئاً جداً حتى أنها ظنته نائم. ولكنه بعد برهة أخذ يحدثها.

كان قد تحدث اليها أكثر من مرة وبطرق مختلفة.. هناك حديثه الساخر، المتألم والمؤلم، الذي أصبحت تخاف منه، ثم المزاج الخالي من الهمّ الذي يجعلهما يضحكان.. كما كان هناك الحنان الذي يبعث الإضطراب والذي طالما لاحقها في أحلامها.. وفي آخر لقاء لهما كان قد حدثها عن عمله والغابات.. وها هو الآن يتحدث عن الغابات ثانية.. ولكن لهجته كانت بكلمات تحمل عمقاً لم تسمعه من قبل. فلم يتحدث فقط عن عمله، بل عن أحلامه وطموحاته. ثم سألها عن نفسها.. وبعد برهة أخذا يتحدثان عن الأشياء: الموسيقى والكتب.. ولمستمع خارجي، حديثهما كان غريباً فهما يبحثان بمواضيع لا تطرق عادة بين مسؤول غابات وفتاة شابة. ولكن ذلك الحديث لم يكن غريباً لهما، ولم تحس ستيلا أنها أقرب

اليه من قبل كما هي الآن.

فيما بعد، وقد أصبحت الشمس فوق رؤوسهم، أخرج جاك الطعام من السلة، وأخذا يأكلان، وكالعادة، كان الطعام بسيطاً، ولذيذاً.. وبعد الإنتهاء. قال لها:

«والآن سأريك الرسومات».

وقاد الطريق أمامها فوق الصخور، واستدار ليبسط لها يده كلما أصبح المسير صعباً. وكما كانت تفعل من قبل، عندما يصل الى منحدر، وكانت تقرمض لتنزلق نحو الأسفل بينما كان جاك يقف ليراقبها. واستدار جاك ثانية ليمسك بيدها ويقول:

«لقد وصلنا».

ومع أنها كانت تتخيل، بطريقة ما، ما ستراه، إلا أن ما رأته جعلها تصعق وتصبح بكماء. في الكتب صور الرسومات على الصخور بدت غير واضحة المعالم ودون ألوان تقريباً. وبرؤيتها الآن على هذه الصخور ذهلت كم تبدو حقيقة: صور رجال، حيوانات، وصيادين، بألوان جميلة ورسم رائع تحدت التلف، الريح، المطر، والزمن. صور تصور حياة الرجال الذين جابوا هذه الجبال منذ مئات.. بل ربما الاف.. السنين.. رجال ناضلوا ليحتالوا على الوجود بين هذه الجبال الجرداء، والذين عاشوا على الحيوانات التي يصطادونها.. وعلى الجذور والثمار التي تنمو من الأرض.. ومن أطفأوا عطشهم من هذه الحياة الجبلية المتدفقة.. رجال قاتلوا معركة دائمة متواصلة للوجود.. مع ذلك كان لديهم الوقت الكافي لتصوير الجمال الذي يحيط بهم، مع كل الأحلام التي تراودهم.

«بإمكاني إعارتك بعض الكتب عنها..».

فاستدارت بشوق:

«أجل.. أجل..!».

«وهل هذا جزء آخر من اهتماماتك جاك؟».

«أجده مثيراً للإهتمام».

ودخلا الغار ليمضيا بعض الوقت فيه، وأخذت ستيلا تلامس الرسومات فوق الصخور وتدرسها متعجبة من دقتها وألوانها التي لا بد كانت مزيجاً من الوحل وألوان الثمار والجذور.

وأخيراً عادا الى رحلة الصعود تسلقاً.. وسار كل شيء على ما يرام، الى أن وصلت ستيلا الى كتل صخرية لم تستطع تجاوزها، فأخذت تنظر من حولها علها تجد ممراً سهلاً. وأخيراً استسلمت وصاحت:

«جاك!».

فاستدار اليها:

«نعم!».

«لقد علقت!».

فضحك:

«يا الهي.. كنت أفكر الآن أنك لن تستطيعي تجاوز هذه الصخور دون مساعدة حتى ولو لم يكن كاحلك مصاب».

وبقفزات سريعة أصبح الى جانبها، بمساعدته، استطاعت تسلق ما تبقى من الطريق. ولكنها تعبت ولاحظ جاك هذا، ودون إنذار، حملها بين ذراعيه.

«لقد أصبحت هذه عادة لدي».

«إنها عادة جميلة.. يا صغيرتي.. فماذا فعلت لك؟».

وأخيراً أنزلها.. ثم لف ذراعاه حولها.. فرمقت نظرها اليه.. وخفق قلبها للتعبير الظاهر على وجهه، وأحست بذراعيه تشتدان حولها بلطف ورقة في البداية، وعندما أصبحت في أحضانه تماماً كانت ذراعاه تشدها بقوة الى جسده.

عندما تركها، كانت ترتجف. وفي عينيه نظرة لم تفهمها:

«ستيلا.. أنت جميلة.. ولكنك رقيقة كثيراً. ولا أريد أن أسبب لك الألم».

ولم تستطع الرد فالدموع خنقتها.. وحمل السلة بيده، وسار معها الى السيارة. ومرة أخرى سار الصمت بينهما في طريق العودة الى الفندق. بماذا يشعر يا ترى؟ ماذا يفكر؟

باقترابهما من الفندق، أوقف جاك السيارة في مكان مشرق. وجلسا بصمت ينظران الى مناظر السهول والمنحدرات تحتهما.. وقال لها:

«لن أراك لفترة قادمة يا ستيلا».

«أوه!».

واستدارت اليه بسرعة، وقد تلاشت سعادتها. فأمسك بيدها بلطف وأكمل:

«أنا مضطر للذهاب في رحلة.. لأتباحث مع العاملين الآخرين في مناطق أخرى من الغابات.. وفكرت بأن أخبرك».

«وكم ستغيب؟».

«لست متأكداً. عشرة أيام على الأقل. ستيلا..».

وصمت، وكأنه قرر أن لا يكمل الكلام. وأدار المحرك، وأكمل ما تبقى من الطريق بصمت. وبعد أن أوصلها.. ذهبت لتخبر السيدة بلومر أنها عادت. بعدها توجهت نحو الساقية حيث أصبحت الصخور الملساء هناك بقعتها المفضلة للراحة. وهي الآن بحاجة لفترة للتفكير.

وسرعان ما امتلأت عيناها بالدموع..

الأيام القليلة التي تلت، كانت غريبة. تجولت ستيلا فيها وكأنها ضائعة، كانت تتحدث، تضحك، تستجيب للمزاح، وتستجيب لكل الأمور الإجتماعية التقليدية.. ومع ذلك، من الداخل، كانت تعيش في عالم مختلف. عالم من المشاعر كانت مختفية عن كل من هم من حولها.

وكيف سينتهي بها الأمر.. إنها لا تدري.. ربما سيأتي جاك الى الفندق بحثاً عنها، أو ربما ستذهب لتلقاه في الغابة.. ولكنها ستراه.. ما من شك لديها في هذا.

ليلاً، عندما تخلد الى فراشها، كانت تجد صعوبة في النوم. وبعد أن تصبح الغرفة في ظلام تام بفترة طويلة، كانت ستيلا تقف عند النافذة، تنظر الى النجوم في السماء، والإنعكاس الأسود للجبال.. وبدأت تفكر بها وكأنها جبالها الخاصة. جبالها.. غاباتها.. ساقيتها.

ثم كانت تشد نفسها من عالم الخيال، وبحدة.. ماذا لو لم يكن جاك يحبها؟ ماذا لو لم يقل لها أي شيء يدفعها للبقاء؟ عندها لن تعود هذه الجبال وهذه الغابات، وتلك الساقية، سوى ذكريات.

ثم هناك براين، ستيلا كانت تظن أن تصرفاته نحوها تغيرت، مع أنها لا تستطيع قول كيف. فهو لا يزال ودوداً

كما كان، ولكن أحياناً في الأمسيات، وهما يلعبان الورق أو الشطرنج، وتحتار في نقلتها التالية كانت ترفع نظرها فجأة لتجد عيناه مثبتتان عليها، ثم يبتسم.. ولكنها قدرت أن نظرة ما في عينيه.. فبماذا يفكر يا ترى؟ هل صدمه ما قالته نيل أكثر مما تصورت ستيلا؟

في ليلة، والطقس كان حار أكثر من العادة، مد براين ساقيه أمامه متمطياً، ثم وقف وقال:

«سأذهب لأتمشى قليلاً يا ستيلا.. هل تأتين معي؟».

«في الظلام؟».

«القمر مكتمل اليوم. وستتمكنين من الرؤية».

وهي تخرج من الصالون معه، استدارت، فرأت السيدة بلومر والسيدة تراست تراقبانهما، ووجهاهما مليئان بالأمل.. فأحست بالتوتر.. ثم أقنعت نفسها بسخافة الأمر.

وتابعا السير ببطء في الحديقة، وتوقفا تحت أشجار صنوبر.. واتكأت على شجرة. وعندما تحدث براين اضطرت لرفع رأسها نحوه:

«ستيلا!».

«ما الأمر يا براين؟».

«أنت جميلة.. أتعرفين هذا؟».

«براين!..».

«تعرفين.. أليس كذلك؟».

«أرجوك.. ما كل هذا؟».

«أريد أن أقبلك».

ووضع يداه على كتفيها وجذبها نحوه. فصاحت:

«لا!».

وأصبح قريباً جداً منها:

«ولما لا؟ أنا رجل وأنت إمرأة.. ومعجبان ببعضنا».

وأحست بالغثيان:

«لا.. أرجوك!».

«وما هي القبلة بين الأصدقاء؟».

«أنا آسفة».

ولم يرد. وتابعا السير ببطء، وبحث براين في جيبه عن غليونه وملأه بالتبغ. وأشعله.. وأحست ستيلا أن هذا العمل قد جعله يتماسك. ولكنه بعد قليل قال غاضباً:

«لا يمكن لك أن تقولي أن أحداً لم يقبلك من قبل».

«براين.. أرجوك!».

فردد كلامها ساخراً:

«براين أرجوك! ماذا قالت نيل بالضبط ذلك اليوم؟».

وأحست ستيلا بالإرتجاف:

«نيل؟».

«حول مسؤول الغابة.. قالت أنك قبلته».

فردت بهدوء:

«لا.. هو الذي قبلني، حتى أنها لم تكن قبلة، فقد قبلني على شعري».

«حقاً؟».

وأحست بالغضب، لماذا تضطر حتى للدفاع عن نفسها؟

«نيل.. تحب تضخيم الأمور».

«ولكنني بدأت أتساءل، هل جاك ميتشل هو السبب في عدم رغبتك في أن أقبلك؟». «بالطبع لا! لنعد أدراجنا».

فيما بعد، وستيلا عائدة الى الغرفة مع السيدة بلومر، مرتا قرب غرفة لعب الورق. وسمعتا أصواتاً، أحد الأصوات عرفته ستيلا على أنه صوت براين.. ولكن الآخر؟ ثم سمعت ضحكة فجائية، فتعرفت اليها على الفور.. إنها نيل.

ودون سبب معقول أحست ستيلا بالغضب.. صحيح أنها لا تغار عليه، فلو أرادت لتركته يعانقها ويقبلها.. ولكن ما امتعضت منه هو محاولته إظهار أنه مع فتاة أخرى، لأنها هي رفضت أن يقبلها. وكأنما يحاول إذلالها رداً على رفضه وإذلاله.

ثم فكرت بجاك، وتلاشى أي تفكير آخر من ذهنها.

في اليوم التالي حاولت ستيلا قدر إمكانها أخذ الأمور بسهولة كي تتمكن من التمتع بالأمسية، ووجدت نفسها تتطلع قدماً للحفلة الراقصة التي قرأت عن إقامتها في لوحة الإعلانات. كانت قد تعودت قضاء سهراتها أمام المدفأة.. هنا أو في موطنها.. ولم يكن هناك الوقت الكافي لها لحضور الحفلات. ولن يكون مهماً. إنها لن تمضي السهرة مع جاك. فيما يهم هو أنها ستضحك وترقص، وتمضي أمسية جميلة، ومع أن براين لا يمكن أن يحل محل جاك، إلا أنه رفيق جيد مرح.

قبل موعد العشاء بقليل ذهبت الى الغرفة وارتدت أفضل ما جاءت به من فساتين بعد أن استحمت، ثم وضعت العطر وراء أذنيها وعلى معصميها. ووقفت تتأمل نفسها في المرآة.. وكم تمنت لو أن جاك يراها هكذا في أكمل زينتها.

في طريقها والسيدة بلومر الى قاعة الطعام، مرتا بمكتب الإستعلامات حيث كانت نيل تعمل في دفتر النزلاء. فرمقت الفتاة نظرها عن الدفتر وقالت مبتسمة:

«مرحباً آنسة اليستير.. ما هذا الثوب الجميل؟».

«شكراً لك.. وأنت تبدين جميلة كذلك».

ربما ليس الذنب ذنب نيل أن لا تحبها ستيلا.. وسألت نيل وستيلا على وشك متابعة السير:

«أعتقد أنك ستحضرين حفلة الرقص مع السيد تراست؟».

فنظرت اليها ستيلا مفكرة للحظات ثم قالت:

«سنجلس معاً».

«هذا ما ظننته.. تمتعي بوقت رائع».

«شكراً لك.. وأنت كذلك».

وتابعت ستيلا سيرها مع السيدة بلومر..

«أنظري سيدة بلومر. السيدة تراست وبراين هناك. وكأنما يبحثان عنا.. هل نذهب ونحييهما؟».

- ٧ -

النظرة التي بدت على عيني براين وأمه أكدت كم تبدو ستيلا جميلة. وبطريقة ما، استحسانهما لمظهرها زاد تألق عينيها ودفع الدم الى وجهها، وأمسك براين بيدها وسألها:

«هل تتشوقين للسهرة؟».

«أجل.. أوه براين.. سنمرح كثيراً!».

وأحست بالغبطة والخفة. والتفت براين الى السيدة بلومر:

«الناس يتجمعون معاً للعشاء الليلة، وطلبت من الساقي وضعك وستيلا معنا.. هل هذا مناسب؟».

فردت السيدة بلومر بحرارة:

«طبعاً».

أربعتهم تعودوا على التقارب وهم هنا. فمن الطبيعي أن يجلسوا على طاولة واحدة. ولا شيء يمكن أن يفسد المرح الذي يتوقعون.

www.elromancia.com

بعد الوجبة، ترك براين وستيلا المرأتين في الصالون وتوجها الى النادي الليلي الذي تقام فيه حفلة الرقص. وكانت القاعة تضج بالأصوات والضحك.. وتعلقت البالونات الملونة في السقف وحول الجدران. وأضيئت الشموع فوق الزجاجات الفارغة على الطاولات. وكان على المسرح الصغير المنخفض فرقة موسيقية من ثلاثة عازفين حضرت خصيصاً من البلدة المجاورة، وكانت تحضّر الاتها لبدء العزف.

ووجدا طاولة في الزاوية، وأخذت ستيلا تنظر من حولها بترقب.. فقال براين ممازحاً:

«تبدين كفتاة تخرج لأول حفلة رقص لها».

«أتعلم.. بطريقة ما.. هذا ما أحسه».

ونظر اليها بفضول.

«لا بد أنك ذهبت الى حفلات رقص من قبل؟».

«أوه.. لقد ذهبت، ولكن ذلك كان منذ مدة طويلة.. براين.. هذا الشيء.. الرقص والموسيقى والفساتين الجميلة.. بالنسبة لي كأنها من عالم آخر».

فمد يده ليمسك بيدها:

«أنا آسف.. كان يجب أن أعرف هذا».

وبعد لحظات قررت أن تترك له يدها.. فابتسم:

«ستتمتع الليلة يا ستيلا».

«أعرف هذا».

وبدأت الفرقة تعزف لحناً جميلاً جعلها تضرب كعبيها على الأرض متناغمة معه. ووسط الكثير من الهتاف والتصفيق، توسط حلبة الرقص زوجان يقضيان شهر

العسل. وبعد لحظات انضم اليهما زوج آخر ثم آخر. ووقف براين وجذب ستيلا باليد التي لا يزال يمسك بها بيدها لتقف معه.

ودخلا الحلبة، ووضع ذراعه حولها، وأحست بالغبطة للسهولة التي تحركا بها في الرقص. وبعد بضعة رقصات تحولت الموسيقى الى صاخبة فقالت له صارخة كي يسمع:

«لن أستطيع.. قدمي!».

«أعلم.. سنقف الى الجانب نتفرج».

ووقفا يتفرجان ويصفقان فترة، ثم تحولت الموسيقى الى ناعمة حالمة، وتحرك الرجال والنساء على أنغامها بين أذرع بعضهم.. وعادت ستيلا مع براين للرقص.

واشتدت ذراع براين حولها، وتلامس ذقنه مع شعرها، وتركت نفسها بين ذراعيه ليدور بها في حلبة الرقص، وهي تتطلع الى الأطياف المتحركة من حولهما.. وفجأة استدارت، لتشاهد ظهر نيل اليها، والرجل الذي يراقصها يواجهها.. وأحست بالصدمة.. جاك! نيل ترقص مع جاك!

«ما الأمر..؟».

ثم لاحظ صدمتها، فأدار رأسه يلحق بنظرها، وأحست بجسده يتصلب. ونظرت ستيلا الى جاك وبادلها النظر.. ووقف براين يراقبهما. ثم عادا الى الرقص، وأخذ براين يجرها بقوة ذراعيه، فهي لم تكن تملك القوة على تحريك ساقيها.

وفجأة، ولذهول ستيلا، جذبها براين اليه وطبع قبلة

www.elromancia.com

على خدها. في تلك اللحظة كانت مخدرة الحس حتى أنها جمدت، دون أن تعترض وذراعان كرباطين من فولاذ حولها. والى أن استجمعت قواها لتدفعه عنها كان قد أنهى القبلة. وكانت قريبة جداً منه لترى وجهه، ولكن ما أن رفعت رأسها حتى شاهدت جاك يحملق بها وعلى وجهه قناع من الألم الغاضب.

ونظرت اليه متوسلة، يائسة، تريد أن تمد يدها اليه لتلمسه، أن تصيح اليه قائلة أن لا ذنب لها بما جرى. وإن براين لا بد فعل هذا ليثير غيرته. ولكن حتى لو تمكنت من الوصول اليه، لما تمكنت من الكلام فقد جف الريق من فمها ولن تستطيع فتحه.

وأحست أن نيل أيضاً تراقبها. عيناها ساخرتان راضيتان. ورفعت ذراعها الى عنق جاك وأراحت رأسها على كتفه.. وتحرك الراقصون.. وابتعدا عن بعضهما، ولم تعد ستيلا تشاهد وجه جاك، بل الذراع العارية حول عنقه.. ووجدت صوتها في النهاية فسألت براين:

«لماذا فعلت هذا؟».

وأخذ براين يدندن اللحن ولم يرد. فضربته بيدها على صدره:

«فعلت ماذا؟».

«لماذا قبلتني؟».

«لأنك تعجبيني يا حلوتي..».

«ولكن أيجب أن تكون في تلك اللحظة؟».

«وهل تلك اللحظة مختلفة؟».

«أنت تعرف تماماً».

وتظاهر بالتفكير:

«حسناً.. دعيني أفكر.. ربما لأن الموسيقى كانت ناعمة، وكنت حلوة بين ذراعي. لقد قلت لك سابقاً أنك حلوة.. أتذكرين؟».

وتوقفت الموسيقى للإستراحة. فعاد براين بها الى الطاولة كانت الشمعة قد انتهت، وسعدت ستيلا للظلام النسبي حولها.. فلن يشاهد أحد الأن دموعها التي تفجرت من عينيها، ومالت الى الأمام لتأخذ محرمة ورقية من حقيبتها، فسمعت صوتاً ورفعت نظرها نحوه بسرعة فوجدت نيل تقف قرب طاولتهما وذراعها بذراع جاك الذي بدا عليه الإمتعاض.

«هل تسمحا أن ننضم اليكما؟».

وتمتم جاك شيئاً وحاول الإبتعاد، ولكن نيل تمسكت بيده وأجبرته على البقاء بابتسامة باردة مشعة، وقال براين:

«بالطبع.. أرجوكما أن تجلسا».

ولكن نيل جرت كرسيها لتجلس عليها، وهي تقول:

«ليس هناك من مكان آخر يا حبيبي.. براين وستيلا لن يمانعا. وكلنا أصدقاء».

ولم يعد أمام جاك خيار سوى أن يجلس، وبدأت نيل بالتقديمات:

«أنت تعرف ستيلا اليستير بالطبع.. وهذا صديقها براين تراست براين.. هذا جاك ميتشل».

قالت كل هذا بهدوء وسهولة لا تصدق. ومالت نيل الى براين تقول بخبث:

«براين.. أتريد حقاً أن تجلس مع ستيلا في الظلام، أم

www.liromania.com

نضيء شمعة أخرى؟ لن نعترض إذا أحببتما إمساك أيدي بعضكما من تحت الطاولة.

لهجتها كانت حلوة وضحكتها المثيرة أحلى. فرد براين:

«طبعاً يا عزيزتي».

وسرعان ما تشارك براين ونيل في حديث معظمه مضحك ولكن ستيلا لم تجد فيه ما يضحك.. ولاحظت أن جاك أيضاً لا يبدو عليه المرح، فقد بقي صامتاً. وفاجئتها نيل بسؤال:

«لما أنت صامتة يا ستيلا؟ براين، أعط الفتاة فرصة للكلام».

وتطلع الجميع الى وجه ستيلا، فأجبرت نفسها على الإبتسام، وقالت:

«لنقل أنني أحب الإصغاء».

«آه.. الفتاة الطيبة تجيد الإصغاء».

وأكملت ستيلا السهرة متوترة صامتة، عيناها تحترقان من الدخان، ورأسها يؤلمها. كانت تحس وكأنها وسط كابوس.. لو أنها تستطيع الإستفاقة منه لتجد نفسها في لفحة الفراش في غرفتها، ولكنها هنا تنظر الى نيل وهي تضع يدها على ركبته، وبين الحين والحين ترفع إصبعها لتمرره على خده بطريقة صحيحة تدل على التعارف والألفة القديمة. واقترب براين بكرسيه من ستيلا ووضع ذراعه حول كتفيها، ومالت نيل برأسها الى كتف جاك، واستمرت النكات اللاذعة بالتطاير، بسرعة وعنف.

وعزفت الموسيقى، فاستدار جاك الى ستيلا وكلمها لأول مرة في تلك الأمسية طالباً منها الرقص معه..

وأحست بالذعر، بالرغم من أن هذا ما تريده.. ولكن ليس هنا.. ليس الآن. ولا في مثل هذه الظروف. ولن تستطيع الرقص معه تحت أنظار نيل وبراين المتفحصة، ووقف جاك. عيناه باردتان، وجهه لا تعبير فيه، ينتظر:

وأجبرت أطرافها المخدرة على الوقوف.. فقادها الى الحلبة. ومد لها ذراعيه.. ولفترة رقصا بصمت.. كان يمسك بها بكل دقة، ذراعه حول خصرها، ويده الأخرى تمسك بيدها. دون أي حركة يجذبها اليه.. وفجأة قال لها يكسر الصمت:

«ظننت للحظة أنك لا تريدين الرقص معي».

وفكرت بجنون بحثاً عن عذر:

«أوه لا.. الأمر لا يعنيك.. قدمي.. إنها قدمي..».

«ولكنني لاحظت أن قدمك على خير ما يرام وأنت ترقصين مع براين تراست».

«جاك.. أنا.. متى عدت؟».

«بالأمس».

«أوه..! ظننتك ستغيب مدة طويلة».

«جئت مبكراً لأنني أردت أن أكون معك هذه اللحظة الراقصة».

فرفعت رأسها اليه بسرعة، ولكن عيناه كانتا مثبتتان بعيداً.

فقالت وصوتها يتحشرج:

«أنا.. أنا.. لم أكن أعرف.. أوه.. جاك.. لم أكن أعرف».

«ولكنني تركت لك رسالة».

«لا . . لم تفعل؟ متى؟ أين؟ جاك؟».

«لقد جئت الى الفندق ولم أجدك وطلبت من نيل أن تخبرك».

فهزت رأسها:

«ولكن . . جاك».

«كنت قد صممت على الرقص مع براين تراست».

«أوه . . لا!».

«عندما جئت أبحث عنك الليلة، قالت لي نيل هذا. وجاءت معي عوضاً عنك».

«ولكن جاك . . لم يكن الأمر هكذا».

«ألم تقولي لنيل أنك سترقصين مع براين؟».

«بلى . . ولكن . . جاك . . أنت لا تفهم . . أترى . . ».

«بل أفهم جيداً».

ونظر اليها بعينين باردتين وأكمل:

«براين مرح وطيب. وأنت متوافقة معه. ولقد أخبرتني نيل عن علاقتك معه».

«علاقة؟».

«تمضين كل سهراتك معه . . أليس كذلك؟».

وأحست بغصة مؤلمة في حلقها. وحاولت جهدها أن لا تبكي . . من غير الكلام، أو محاولة الشرح، فكل معاني كلماته خاطئة. وأكمل جاك بقساوة:

«خلال النهار يخرج براين للتسلق . . وهذا يتركك لوحدك.

«لا يا جاك؟ بلى يا جاك. أوه ستيلا أتظنين أنني لا أعرف شيئاً؟ أتظنين أنني لم أفهم كل شيء؟ الطريقة التي

حضنك بها وقبلك؟ ما من رجل يستطيع تقبيل فتاة بمثل هذه العاطفة وسط الناس إذا لم يكن قد اعتاد مثل هذا العناق وبموافقة الفتاة!».

«جاك . . إنه هو من قام بهذا العمل . . وأنا لم أستجيب له».

«لم أشاهدك تقاومينه أو حتى تحاولين منعه. ظننتك مختلفة عن الأخريات ولكنك لست هكذا! أنت مثل العابثات اللواتي التقيتهن في حياتي . . براين . . وأنا . . ولويس ترينشار . . وكم رجل آخر يا ستيلا؟».

ونزعت يدها من يده لتلملم دمعة خائنة.

«أنت لست منصفاً».

وشدها اليه فجأة:

«لا؟ أنظري ستيلا . . براين ونيل يرقصان معاً . . وكلاهما يراقبنا. فهل لي أن أقبلك الآن يا عزيزتي، كما قبلك هو؟».

فصاحت به بعنف:

«لن تجرؤ على هذا!».

«لا . . ».

وأرخى قبضته عنها حتى أنها كادت تقع وأكمل:

«لن أقبلك . . ليس لأنني لا أجرؤ . . بل . . بل لأنني فقدت الرغبة بك».

وأخيراً انتهت السهرة. خارج النادي تودعوا، والتفت ذراع نيل على خصر جاك بينما وضع هو ذراعه على كتفيها . . بينما أمسك براين بيد ستيلا.

أوصلها براين الى غرفتها، ثم جذبها ليعانقها بنفس

القوة التي عانقها فيها خلال الرقص، وقال ساخراً «تصبحين على خير حبيبتي» وتركها فجأة ليستدير ويتركها تقف وحيدة.

في الداخل رمت نفسها فوق السرير، وعندها تدفقت الدموع.. وفي عتمة الغرفة الصغيرة، وتحت سماء افريقيا المتلألئة بالنجوم.. وبعيداً جداً عن موطنها.. بكت ستيلا الى أن لم تعد قادرة على البكاء.

صوت ضعيف أيقظ ستيلا في اليوم التالي..

«ستيلا!».

ذلك الصوت الضعيف من جديد.

«سيدة بلومر!».

الصوت كان ينقصه تلك القوة الإعتيادية التي تعرفها، ونظرت الى الفراش الآخر لتجد وجهاً شاحباً ينظر اليها من على الوسادة. وقفزت من السرير.

«أوه.. أنا آسفة، لقد استغرقت في النوم».

«لولا حفلة الرقص ليلة البارحة لأيقظتك».

«أنت لا تشعرين بخير؟».

«لا.. أخشى أن تكون عوارض مرض قد عادت اليّ».

«ستكونين على ما يرام.. سأستدعي الطبيب».

وسارعت لارتداء ملابسها، ومررت المشط في شعرها، ثم ابتسمت للمرأة المسنة وخرجت الى مكتب الإستعلامات. نيل كانت هناك بكل إشراقتها المعتادة فقالت لها:

«أود استخدام الهاتف.. هل لك بإخباري كيف أتصل بطبيب؟».

وطلبت ستيلا الرقم، ولكنها وجدت الخط مشغولاً فأعادت السماعة مكانها.. فبادرتها نيل.

«هل تمتعت بالحفلة الراقصة أمس؟».

«كثيراً شكراً.. نيل لماذا لم تبلغين رسالة جاك؟».

واتسعت عينا نيل بدهشة مصطنعة:

«رسالة؟ أوه.. تلك الرسالة».

«أريد معرفة سبب عدم ذكرك لها».

«كنت أفكر بك عزيزتي كي لا تصابي بالحرج لوجود مرافقين لك».

«كان بإمكانك تركي أختار بنفسي بدل أن تختاري أنت لي».

والتقطت السماعة من جديد، وحصل الإتصال هذه المرة، وتكلمت ستيلا مع الممرضة وتركت رسالة للطبيب. والتفتت بعدها الى نيل لتجدها منكبة على قراءة كتاب، وكأنما لا تريد متابعة الحديث معها.

وتوقفت ستيلا في غرفة الطعام لتطلب صينية فطار للسيدة بلومر. وتوجهت رأساً الى الغرفة لتساعد العجوز في غسل وجهها وتغيير ثيابها. ثم ساعدتها على تناول الفطار.

حتى الوقت الذي وصل فيه الطبيب كانت السيدة قد استعادت شيئاً من لونها.. فأخذ لها الحرارة، واستمع الى دقات قلبها، ثم تفحص ضغط الدم.. وأخيراً استوى راضياً، وتقدم ليجلس الى طاولة الزينة، ويتطلع الى كومة الأدوية هناك التي تتناولها العجوز. فسألته:

«هل سأكون على ما يرام يا دكتور؟».

«لا شيء خطير، مجرد نكسة بسيطة. هواء الجبل هنا

www.elromancia.com

أفادك.. ثم ان لديك ممرضة رائعة».

«عليها بالراحة التامة ليومين، والإستمرار بنفس الأدوية..».

«كيف حال قدمك؟».

«أفضل بكثير.. شكراً لك دكتور».

ومر اليوم دون شيء يذكر. وفي الصباح التالي بدت السيدة بلومر نشيطة. وعلمت ستيلا أنها ستتمكن من الخروج الى الحديقة.. وعندما انضمت اليها السيدة تراست، تركتهما لتسير نحو الساقية القريبة.. ولسبب ما كان لصوت المياه الجارية تأثير مهديء غريب على أعصاب ستيلا.. وعندما عادت كانت أكثر سعادة منذ ليلة الحفلة.

بعد يومين وصل البريد، رسالة سميكة تحتوي على صور للسيدة بلومر، ورسالة أخرى لستيلا. كانت تحتوي على الكثير من أخبار القرية، والقيل القال فيها، ولكن الأهم كان الجزء الذي ركزت عليه اليانا بقولها:

«آل بينسون شاهدوا بالفعل لويس ترينشار في الغابة هنا. ربما تظنين أن سبب ذكري ذلك هو دفعك للسفر مع أمي.. ولكن الواقع، أنني سمعت منهم عن الفندق الذي تقيمان فيه.. أرجوك ستيلا عزيزتي، لا تدعي هذا يكدرك.. لا بد أن لويس غادر تلك المنطقة قبل وقت قصير من وصولكما، وأن السيد ميتشل جديد هنا ولم يسمع به.. لكن مهما كانت الوقائع.. لا أعتقد أن هناك أي لغز في الأمر».

إذن لقد عاش لويس فعلاً هنا. وبقدر ما دفعت ستيلا نفسها لإعتقاد العكس، فقد عرفت أن عقلها الباطن لم

يتقبل مطلقاً فكرة عدم وجوده.

والآن، وقد عرفت أنه كان هنا بكل تأكيد.. ماذا ستفعل؟ لن تترك الوضع على ما هو.. ولائها للويس والعاطفة التي كانت بينهما كان كبيراً.. ولو أنه في مأزق، كما تشير الوقائع.. فهي تريد أن تعرف بالأمر، وأن تتمكن من مساعدته، كما كان يساعدها دوماً وهي في ورطة.

غداً ستذهب الى جاك.. وهذا سيعطيها الوقت لتحفظ ما تقوله له.. وتمنت أن تتمكن من الآن وحتى الغد أن تجمع ما يكفي من شجاعة لمواجهته دون أن تنهار.

بدا الصباح التالي يعد بيوم جميل، والهواء رطب ومنعش، مليء برائحة الزهور البرية والصنوبر. ولكن ستيلا لم تكن تنظر حولها وهي تتجه الى الغابة. كانت نفسها مليئة بالقنوط.. فهل أصبحت بالغباء الذي قد يدفعها لتفضيل الولاء على آخر فرصة لها للسعادة مع الرجل الذي تحب؟

دخلت الغابة الدغل. ثم الغابة المزروعة، وبقلب يخفق تقدمت نحو المنزل.. وبدا لها المنزل مهجوراً، لو أن جاك هناك لكانت كلبته الآن تقفز عليها مداعبة. وقرعت الباب، ولكن كما توقعت، ليس هناك من أحد.. وعليها أن تأتي يوم آخر.

لكنها أحست فجأة بالتعب، صحيح أن قدمها أصبحت على ما يرام، ولكنها تتعب بسرعة.

مترددة دقت الباب ودخلت، وكالسابق، كانت غرفة الجلوس نظيفة مرتبة. وفي الغرفة الصغيرة التي يستخدمها جاك كمطبخ، ملأت إبريق الشاي بالماء، وأشعلت النار

تحته.

وهي تنتظر الماء لتغلي، تقدمت لتتفرج على كتب جاك المرصوصة في خزانة الكتب.. وشاهدت الكثير من كتبها المفضلة، ولكن أكثر الكتب كانت عن الغابات، والطيور، والحشرات، وعادات الحيوانات البرية. ووجدت كذلك كتباً عن رجل الكهف ورسوماته.. وأحست بعينيها تدمعان وهي تستعيد ذكرى اليوم الذي أمضته معه هناك.

وسارعت الى المطبخ بعد أن سمعت صوت غليان إبريق الماء، وفتشت عن الشاي فلم تجده، فتحت خزانة صغيرة ولم تجد شيئاً.. أين يخبئه جاك؟ وتطلعت حولها، وشاهدة خزانة أدراج صغيرة. فوقها غليون وكتاب، وقنديل. أيمكن أن يحتفظ بالشاي هناك؟ غير معقول بالطبع.. ولكن ربما.. ودون تفكير بأنها تنتهك خصوصية شخص آخر. حركت الكتاب والقنديل.. ولم تجد الشاي. ثم سمعت شيئاً يقع وبرنين معدني على الأرض.

وركعت على ركبتيها، وأحنت رأسها تفتش تحت الخزانة.. ولكنها لم تر شيئاً في العتمة، فمدت يدها تحركها هنا وهناك، ولامست يدها قطعة المعدن.. فأطبقت أصابعها عليها ووقفت.

ونظرت الى ما في يدها، لتجد نفسها ترتجف حتى أنها اضطرت للإستناد الى خزانة الجوارير لتدعم نفسها. لا يمكن أن يكون ما تراه صحيحاً.. ولكنه صحيح! إنها ميدالية محفور عليها صورة دب، أطرافها أصبحت ملساء من اللمس.. الصورة كانت ممسوحة تقريباً، ولكن ما تبقى منها كاف لأن تتعرف اليها.

وأخذت تقلب الميدالية وقلبها يخفق بجنون، على الرغم معرفتها بما ستجد على الجانب الآخر.. حرف «ل» بالخط العريض محفور على كامل الميدالية من الخلف.. إنها ميدالية لويس. حتى الآن.. وهي تمسكها بيدها، كانت قد نسيت وجودها.. كان دائماً يحملها معه أينما ذهب.. كانت دائماً لها نيرة خاصة لديه.. وهي تقف هنا.. في منزل جاك، أغمضت عينيها لتسمع صوت لويس يقول لها:

«سأحتفظ بها دائماً ستيلي.. إنها تجلب لي الحظ».

وعادت وهي ترتجف الى المطبخ.. أكثر من أي وقت مضى، تحتاج الآن الى شراب ساخن يدفئها من الداخل. وفتحت خزانة المطبخ ثانية.. خلف علبة بسكوت وجدت علبة الشاي.. كم هي سخيفة لأنها لم تفتش جيداً.

ودست الميدالية في جيب بنطلونها. وأخرجت علبة الشاي ووضعت القليل منها في الإبريق. ثم صبت الشراب الساخن في فنجان.

ماذا تعني الميدالية؟ إنها تعني أن لويس كان هنا.. وهنا في هذا المنزل.. ولكن هل عاش هنا؟ أجل وهذا ما يفسر وجود الميدالية التي ربما انزلقت وراء خزانة الجوارير. ولكن لماذا تصميم جاك على أنه لا يعرفه؟ وأين هو الآن؟

كانت مستغرقة في أفكارها حتى أنها لم تسمع الأصوات خارج المنزل. وأجفلت عندما انفتح الباب، واندفعت كتلة من الفرو نحوها، وأحست بأنف رطب يشمها، ثم سلسلة من النباح المنخفض «والنعوصة».

«ستيلا!».

وبخطوة واحدة سريعة كان جاك قربها. وأبعد الكلبة عنها وجرها لتقف:

«ستيلا!».

«جاك.. أرجو أن لا تمانع..؟».

«أمانع؟».

«لم تكن هنا.. وكنت تعبة وعطشة.. لذا.. صنعت لنفسي الشاي!».

«يا فتاتي العزيزة.. أنا سعيد! دعيني أنظر اليك».

وأبعدها قليلاً عنه.. ثم جذبها اليه وضمها:

«ألا تدرين أنني أسعد الناس عندما تتصرفين هنا وكأنك في بيتك؟».

«صحيح؟».

«أجل.. لأن هذا ما يجب أن يكون».

«أوه!».

ولكنها لم تستطع تأويل كلامه كما تحب.. ولكنها وجدت نفسها فجأة محاطة تماماً بذراعيه وهو يشد عليها بعناق محموم، وهي تستجيب بكل جوارحها. ثم أعادها الى كرسيها وقال:

«أنا سعيد جداً لأنك قمت بالخطوة الأولى. لهذا جئت، أليس كذلك يا ستيلا؟ لقد أحسست بغيرة قاتلة عندما رأيت براين يقبلك».

«ولكنه قبلني كي يجعلك تغار».

«صحيح..! أوه.. أوه ستيلا حمد الله أنك جئت».

«جاك.. لقد جئت الى هنا بسبب رسالة وصلتني

أمس».

«رسالة؟».

«رسالة من إبنة السيدة بلومر».

«أوه!».

«فيها شيء ما.. جاك.. يجب أن أسألك شيئاً».

وتراجع عنها ليأخذ الغليون ويبدأ بحشوه:

«ما الأمر يا ستيلا؟ أرجو أن لا يكون شيئاً نندم عليه كلانا..».

«ولكن إسألي».

«جاك.. اليانا واثقة أن لويس ترينشار شوهد هنا».

«ستيلا..».

«أنا آسفة جاك، أعرف أنك لا تحب الكلام عنه.. ولكن يجب أن أعرف. لقد التقى لويس بعائلة بينسون.. وقلت لك عن هذا.. وتحدث اليهم. وهم من قالوا لإليانا عنه».

فرد بهدوء:

«ولكن سلسلة جبال كليمنجاور واسعة تمتد حتى بلدان أخرى».

- ٨ -

«هذا ما كنت أظنه.. ولكن اليانا تؤكد أنهم شاهدوه هنا.. وآل بينسون هم من ذكروا لها إسم الفندق هنا كذلك».

وساد الهدوء الغرفة، وحده صوت لهاث الكلبة كان يزعج ذلك الهدوء. وانشغل جاك بغليونه.. ثم قال:

«هؤلاء.. الناس.. آل بينسون.. لا بد أنهم مخطئون».

«لا!».

«ليس هناك لويس ترينشار هنا».

«أليس ممكناً أنه كان يعيش هنا قبل أن تصل أنت؟».

«لا.. لا أظن هذا. وإلا لعرفت بأمره».

إذن لا يرغب في الإعتراف. وأحست بالألم وهي تدس يدها في جيبها لتخرج الميدالية القديمة، وقالت وهي تراقب وجهه:

«إذن.. ما هذه يا جاك؟».

وظهرت عليه الصدمة لرؤية الميدالية.. وللحظات ظنت أن أنفاسه انقطعت.. ثم استعاد جأشه بسرعة. وسألها:

«ماذا عنها؟ ما هي..؟ لعبة طفل أم ماذا؟».

«هذه تعود للويس».

«وكيف تعرفين! لم تشاهديه منذ سنوات.. وشيء كهذا ليس فريداً من نوعه. هناك الآلاف مثلها».

«مثلها صحيح.. ولكن لا تشابهها تماماً.. أترى.. عليها حرف «ل» محفور. جاك.. أنا أعرف أنها للويس. صحيح أنها قطعة لا قيمة مادية لها.. ولكنها كانت تعني الكثير له. وكان يحملها معه على الدوام».

«وأين وجدتها؟».

«خلف خزانة الجوارير».

«ماذا؟».

«أظنها وقعت خلف الخزانة وبقيت هناك الى أن وقعت اليوم. لقد وجدتها على الأرض».

وقال لها بلهجة لم تسمعها منه من قبل:

«لقد جئت الى منزلي إذن لتتجسسي؟».

«لا.. لا يا جاك!».

ولكنه تابع بغضب:

«إنتظرتي الى أن خرجت.. ثم دخلت تفتشي بين أغراضي».

«أوه.. لا.. الأمر ليس هكذا.. لم أجد الشاي.. و..».

«و.. ماذا؟.. لا بد أنك ظننتني ذلك الأبله عندما

دخلت وأبديت سعادتي لوجودك».

«أوه.. لا..!».

«بلى.. لقد شاهدت هذا بنفسي.. حتى أنك ظننتني غبياً. فأنت لم تأت لأجلي أبداً. لقد جئت تفتشي عنه.. عن لويس ترينشار».

«ولكن.. جاك.. يجب أن أجده، ألا تفهم هذا؟».

«ولكنني قلت لك أنه ليس هنا. ألم تصدقيني؟ ألا تثقي بي؟».

أرادت أن تصرخ: «أحبك.. وأثق بك.. أضع حياتي بين يديك.. ولكن في هذا الأمر.. لست أدري ما أصدّق» وقالت له يائسة:

«أجل.. أثق بك».

«لديك طريقة غريبة في إظهار هذه الثقة.. ما هذا الهوس حول لويس ترينشار؟».

تقدم منها ليمسك بذراعيها، ويؤلمها، ثم يسأل:

«ماذا يعني لك».

فردت يائسة:

«إنه صبي كنت مغرمة به.. وأنا أعرف أنه هنا في مكان ما، أجده.. جاك.. أترك ذراعيّ! أنت تؤلمني».

«ليس بقدر ما أتمنى.. أخيراً فهمتك ستيلا أنت مغرمة بصبي لم تقع عليه عيناك منذ سنوات».

«الأمر ليس هكذا!».

«بلى! لقد أقنعت نفسك بشيء.. بجنون مطبق.. لماذا لا يمكن أن تقعي في حب رجل.. بدلاً.. بدلاً.. من شبح؟».

«أنت تحوّر الأمور يا جاك!».

«صحيح؟».

«كل ما أطلبه منك أن تقول لي شيئاً عن حقيقة الميدالية».

«لست أدري كيف وصلت الى هنا.. والأكثر أنني لست أهتم بها..».

وأمسك بذراعيها ثانية وجرّها الى الخارج:

«أريدك أن تذهبي الآن.. ولا تعودي الى هنا.. إطلاقاً.. فلن تجدي هنا شيئاً يا ستيلا».

«جاك..».

«من الآن وصاعداً سأقفل باب المنزل».

«تجعل الأمر يبدو وكأنني سارقة. لم أكن أظنك ستمانع في مجيئي الى هنا، لأصنع الشاي لأنني كنت عطشى.. و..».

واختنقت كلماتها بالدموع.. فقاطعها:

«لو كان هذا ما جئت لأجله لكنت أسعد مخلوق في العالم.. لقد شاهدت بأم عينك ردة فعلي لوجودك.. ولكنك جئت للتجسس. تسللت الى هنا وأنا غائب.. لمحاولة إيجاد شيء يدلك على هذا الرجل المهووسة به.. وهذا شيء لن أسمح به.. أرجوك إذهبي من هنا ستيلا».

واندفعت الى الخارج قائلة:

«حسناً».

وبدأت الدموع تنهمر على وجهها، ولم يحاول مواساتها، أو أن يمنع ذهابها. كانت تسرع في سيرها في الباحة عندما رمت الكلبة نفسها أمامها تشمشم يدها..

www.elromancia.com

نحو المنزل، وعاد النداء، فاستجابت الكلبة مترددة الى نداء صاحبها.

لقد انتهى كل شيء.. ولويس.. ولويس هنا في مكان ما. أو أنه كان هنا.. وبدا من غير الممكن الآن أن تجده.

وجاك.. جاك يظنها جاسوسة. فتاة هاوية، يستحوذ عليها نوع من الجنون. ورنت في أسماعها صوته عند الفراق: لا تعودي الى هنا أبداً!.. إنها ليست كلمات متهورة.. فهي تعرف أنه يعنيها. وتعرف كذلك أن ما من شيء في الدنيا سيعيدها الى هناك.

وكل ما تستطيع أن تأمله.. أن تتمكن من تمضية ما تبقى من العطلة هنا.. دون أن تلتقي به ثانية.

ما أن عادت ستيلا الى الفندق، حتى جلست لتكتب رسالة الى إدارة الغابا في نيروبي، تطلب معلومات عن لويس ترينشار، عالم الغابات الكندي العامل لدى حكومة كينيا. ولقد مر حتى الآن شهر من ذلك التاريخ ولم يصلها رد. وبدأت أعصابها تتوتر.. فبعد أسبوع بالتمام ستعود والسيدة بلومر الى كندا.. وهي تحس أنها إذا لم تجد لويس الآن.. فلن تجده مطلقاً.

الطقس كان قد تحول الى المطر منذ يومين وكان لا يزال ممطراً منذ ثلاثة أيام.. ولكن ستيلا استيقظت ذلك الصباح لتجد الشمس تتسلل عبر النافذة. وعندما خرجت من سريرها هرعت الى النافذة، فشاهدت الجبال لأول مرة منذ أيام. وحدها القمم كانت مغموسة بالغيوم.

وبصفاء الطقس أكثر، تملك ستيلا نفاذ صبر مؤلم.. الوقت ينفذ.. والطقس في هذه الجبال، وخاصة أواخر

الصيف، لا يمكن التنبؤ به. وقد يحدث وابل آخر من المطر بسهولة ودون سابق إنذار.. وهي تريد رؤية جاك.. لمرة أخيرة قبل أن ترحل.

وكان اليوم رائعاً.. ولم تستطع ستيلا إلا أن تحس بالتمتع لخروجها ثانية الى البرية. الوادي، الذي كان بنياً أجرداً، أصبح ملوناً بالأخضر. والأزهار البرية تتراقص وتتلوى في النسيم..

وتوقفت عند وصولها الى الساقية.. لقد أصبحت خبيرة في القفز فوق الصخور.. ومع ذلك كانت تسعد لخلع حذاءها والخوض في المياه من جانب الى آخر. ولكن المطر حوّل الساقية الى نهر زاخر مندفع، يتدفق فوق الجانبين وأعلى الصخور حتى ببضع سنتمترات.

بدت لها المياه سريعة وقوية. هل يمكن لها أن تمر؟ خيبتها كانت مزيجاً من التوتر والفراغ. لو أنها قطعت النهر فلسوف تضطر الى رفع رجلي البنطلون الى أعلى ما تستطيع، ومع ذلك فقد يتسخ ويبتل وستبدو تعيسة المنظر عندما تصل الى جاك.

لكن ما من بديل. وهكذا رفعت البنطلون حتى ركبتيها، وبدأت بحذر تقطع النهر. وكانت المياه أسرع وأعمق مما تصورت مرت بخطة سيئة وعندما وقفت على شجرة منزلقة وكادت تقع. وأخيراً وصلت الضفة الأخرى، وسيقان بنطلونها مبتلة، وتساءلت عما إذا كانت ستجف عندما تصل منزل جاك.

الممر عبر الغاب كان منزلقاً وموحلاً. ووجدت ستيلا السير صعباً. ولم يمض وقت طويل حتى امتلأ حذاءها

بالوحل، واضطرت أكثر من مرة الى تسلق الجذور لتمر فوق بركة وحل تعترض الطريق.

وبازدياد صعوبة الطريق، كانت شجاعتها تتلاشى.. وكانت على وشك الرجوع عندما تذكرت الوقت القصير الذي لا يزال أمامها. قبل الرحيل.. عندها لن يعود لديها أمل في رؤية جاك.

ولم يعد أمامها حل آخر.. لقد وصلت الى هنا ولن تعود.. مرة فكرت أنها تفعل كل هذا دون جدوى، وقد لا يكون جاك في منزله. ولكنها كانت قد فكرت من قبل بالأمر وجاءت معها بقلم وورقة لتترك له رسالة إذا لم تجده.. ثم تأمل أن يجيء ليراها ويودعها.

وظهر أمامها قبل نهاية الدغل بركة وحل. وأدركت بذعر أنها لن تستطيع المرور عبرها، وقررت أن تأخذ ذات اليسار عبر فتحات ضيقة من الغابة.. وغاصت قدماها في الخضرة المتعفنة فوق الأرض، وارتجفت. كل خطوة كانت ثقيلة وجاهدة. تتبعها بمضض القدم الأخرى.. وتوقفت جامدة في مكانها عندما داست شيئاً طرياً مطاطياً.. وذعرت عندما برزت في ذهنها صورة أفعى «المامبا» التي شاهدتها من قبل.. وبكل ما لديها من شجاعة نظرت الى الأسفل لتجد نفسها تقف على جذور خضراء لشجرة كبيرة.

خطوة خطوة شقت طريقها بين الأشجار.. الحفرة الوحلية بدت لا أكثر من بضع خطوات، ولكنها الآن امتدت الى أكثر داخل الدغل. فالمرور عبر الأعشاب والنباتات النامية هناك شيء قرأت عنه فقط في كتب المغامرات المتوحشة.

عندما تخرج من الدغل لن تكون ثيابها تصلح حتى للتمريغ في الوحل.. كم هي غبية لتقم بهذه المغامرة. ولكنها على الأقل لن تعود من نفس الطريق، فإذا لم يكن جاك هناك ستنتظره.. وسوف يعيدها الى الفندق بسيارته مستخدماً الطريق العام الى الجانب الآخر من الغابة.

وكادت ستيلا تصل الممر ثانية، وأمسكت بستارة من الأعشاب المتسلقة وفتحت فيها فجوة.. ثم مدت قدمها.. ولكن قدمها لم تستطع الوصول الى الأرض.. فدعمت ساقها الأخرى الى جذع الشجرة وسحبت نفسها الى الوراء. للحظات ظنت نفسها ستقفز في الفراغ.. ثم لامست قدمها الأرض. وتمسكت بغصن الشجرة، ولكنه كان مهترءاً، فانقطع ووقعت.

للحظات تخدرت.. ثم حاولت الوقوف.. لم تستطع.. فالزلة لوت لها قدمها.. نفس القدم المعطوبة في السابق. وبجهد كبير وإرادة صلبة أجبرت نفسها على الوقوف.. ولكن الألم كان شديداً فصرخت ووقفت ثانية.

لن تستطيع الوقوف.. لن تستطيع السير.. لن تستطيع حتى القفز على قدم واحدة، فلا شيء معها تستند اليه.. وحاولت تحريك قدمها كي تريحها.. لتفعل أي شيء يريح الألم الذي تحس به والذي لا يحتمل. وحاولت أن تستريح علها تستطيع الوقوف بعد قليل.

وهي دون حراك على الأرض.. أحست ببرودة الغاب.. وأحست برطوبته واشتمت عفونته، وأحست بعظامها تؤلمها.. وبدأت تتساءل كيف تكون الأدغال في الليل..

الليل! وأحست بالرعدة للفكرة. فالرقاد هنا في ضوء النهار سيء بما يكفي، ولكن ليل الغاب شيء لا يمكن لها تصوره.. والليل سيجيء باكراً في عالم الأدغال القاتم. ولا يمكن أن تكون هنا عندما يحل الظلام.. بطريقة ما يجب أن تنقذ نفسها قبل ذلك.

وهل سيفكر أحد أن يفتش عنها هنا؟ لم تكن قد أعطت أحداً أي تلميح عن وجهتها.. حتى ولو فكر أحد بهذا الطريق فسيجد صعوبة في السير بين النبات خلال الظلام.. وفي الصباح التالي قد يصلون الى هنا.. وقد يجدها أحدهم.. وقد تصيح اليهم.. ولكن قبل الصباح ليس هنا أمل لها في الإنقاذ وستبقى كل ليلها في الأدغال..

- ٩ -

وأخذ الجو يبرد أكثر.. فأكثر.. ولكن بعد فترة لم تعد تهتم كثيراً.. ففي نصف حلمها، ونصف يقظتها، لم تعد راحتها تهم.. ولم تعد تدري ما هو حقيقي وما هو خيال. مر أمامها براين.. كان يبتسم.. ثم جاك.. كان يحملها فوق الصخور يوم أخذها لترى الرسم على الصخر.. ثم هناك كلب.. كلب إنها كلبة جاك. الكلبة كانت تلعق لها يدها.. تتشممها.. تحاول تحريكها بحركات دافعة من رأسها ويديها..

وطغت صورة الكلبة على ما عداها. وأصبح إحساسها باللعق والأنف المبلل يزداد.. وفتحت عينيها وحركت يدها لتدفع الكلبة عنها ووقفت الكلبة الى جانبها.. تطلق نباحات قصيرة منخفضة.. محاولة دفعها لتقف.

www.elromancia.com

الكلبة حقيقية..! لقد وجدتها! وعادت ستيلا الى وعيها الآن. وبألم استطاعت ستيلا نزع حذائها من قدمها، ووضعه بين فكي الكلبة.

«خذيها له.. أحضريه الى هنا.. أحضريه!».

ولا بد أن الكلبة فهمت، فقد توقفت عن حركتها المفزوعة.. ووقفت قرب ستيلا.. ثم قفزت بسرعة عبر الأعشاب المتسلقة.

الجو بارد.. الرطوبة تزداد والألم يخدر أعصابها. وكل هذا أصبح جزءاً منها. تعال يا جاك.. تعال! لست أدري كم أستطيع الصمود بعد.. أرجوك.. أرجوك.. تعال!

ثم، وكأنما الرحمة حلت عليها، تلاشى الألم، ولم تعد تعي ما حولها.. في مرحلة ما.. أحست بشيء يدفعها أو يجرها.. وذراعان قويان يمسكان بها. وسمعت عواء كلب، وكلمات ناعمة..

كانت مستلقية في فراش.. وأحست بالنعاس والطمأنينة وامتلأت نفسها بإحساس جميل من اللامبالاة الناعسة. ولم يعد رأسها يؤلمها ولكنه ثقيل، ولم تستطع فتح عينيها. وتذكرت بشكل مبهم أنها انزلقت، وأنها أذت قدمها، واستلقت في البرد والرطوبة. وهي الآن دافئة، ومرتاحة.. وبطانية صوفية سميكة ملفوفة حولها. وشيء دافيء آخر يلتف حول قدميها.

وأحست أن هناك شخصاً معها في الغرفة، فحاولت فتح عينيها، ولكنه جهد كبير.. واستمرت مستلقية هادئة ساكنة. وسمعت حركة، أحد الجوارير انفتح ثم أقفل.. وقع أقدام، توقفت قرب السرير، ويد رقيقة فوق خدها.

قبلة رقيقة ناعمة كجناح الفراشة لامست جبينها.. أمي؟

بدأت صورة ضبابية تطفو أمام عينيها. وحاولت أن تتذكر.. تتذكر.. ماذا جرى..؟ حاولت تحريك ساقها فأحست بوخز الألم.. فجمدت. ثم حاولت ثانية، وخزة الألم نفسها..

وتحرك الشخص الواقف قربها.

«ستيلا..».

إنه صوت رجل، ناعم ومليء بالقلق:

«ستيلي.. ستيلي.. أيمكنك سماعي؟ أوه ستيلا، ستيلا حبيبتي، إفتحي عينيك. قولي لي أنك بخير. أرجوك ستيلا».

وصمت فترة، وعندما لم تستجب عاد يكلمها:

«ستيلي.. ستيلي! أتسمعيني؟».

وطافت في رأسها الذكريات.. الكثير الكثير منها. ستيلي.. شخص واحد فقط كان يناديها ستيلي.. لويس.. لويس الذي تبحث عنه.. لقد وجدها لويس.

وارتبكت أفكارها.. كل شيء أصبح مشوشاً، هي من تبحث عن لويس ولويس ليس هنا.. الكلب.. كان هناك كلب.. لقد قالت للكلب أن يجد لها جاك.. جاك الذي تحبه.. ولكن لويس هو من وجدها.. لويس معها الآن.

«ستيلا.. ستيلا حبيبتي.. أرجوك.. ستيلي إفتحي عينيك».

تفتح عينيها.. أجل.. يجب أن تفتح عينيها.. الصوت كان مليئاً بالحب.. ولأجله.. يجب أن تفتح عينيها.. لأجله.. لأجل لويس، فهي لن تتمكن من رؤية وجهه

خلف جفنيها المغمضين.. ويجب أن ترى وجه الصبي العائد من طفولتها.. وبجهد كبير، بدأت عيناها تنفتحان.. ببطء.. ببطء.. وغشى النور في الغرفة الوجه المنحني فوقها.. ثم تلاشت الغشاوة..

«جاك..».

وانحنى فوقها، عيناه دافئتان وقلقتان:

«ستيلا! ستيلا.. هل أنت بخير؟».

«أجل..».

وحركت ساقها وأنّت من الألم.

«أوه.. جاك.. أحس بالألم.. وكأنني آذيت كل جسدي..».

«لا عجب بهذا..! عندما تتحسنين أكثر ستخبريني ما جرى».

«أجل.. جاك.. الكلبة.. الكلبة وجدتني».

«شكراً لله.. لقد جاءت الكلبة الى المنزل وضربت الباب بقائمتيها.. وارتفع نباحها، فخرجت.. وكنت على وشك الغضب منها.. وشاهدت حذائك في فمها».

«الحذاء.. لقد أعطيتها الحذاء..».

«كنت فاقدة الوعي عندما وجدتك.. وأشكر الله على هذا، وإلا لعانيت الآلام قبل أن تصلي الى هنا.. ستيلا.. ماذا كنت تفعلين في الغاب؟».

«أتيت لرؤيتك. ولم أستطع السير في الممر.. الوحل..».

«كان يجب أن تنتظري الى أن يجف الممر».

«كان عليّ المجيء.. عليّ أن أقول لك..».

«تقولي ماذا؟».

«أنني.. كنت مخطئة.. حول لويس. ولكنني.. الآن ظننت..».

وصمتت.. النار تحترق في المدفأة، تلقي ظلالاً طويلة في الغرفة.. وتفحصت وجه جاك..

«لا يمكن أن أكون أحلم.. جاك.. أنت.. لويس أليس كذلك؟».

ولم يدر، بل استدار عنها فجأة، ولاحظت أن فكه تصلب. وأخرج غليونه من جيبه، وبدأ يملأه تبغاً.. ووضعه بين شفتيه.. أشعله وسحب أنفاسه البيضاء. وعندما استدار اليها كانت عضلات وجهه مسترخية. وجلس على حافة السرير ليمسك بيدها:

«أجل ستيلا.. أنا لويس».

«أوه.. جاك.. جاك.. لماذا؟».

وخرج إسمه بشكل طبيعي. وعلمت أنه الإسم الذي ستستخدمه دوماً.

فابتسم لها:

«إنها قصة طويلة. أعلم أن لديك أسئلة كثيرة.. والآن.. أخيراً.. سأتمكن من الإجابة عليها».

«وهل ستخبرني لماذا ادعيت أنك..؟».

فقاطعها بلطف:

«سأخبرك كل شيء.. ولكن أولاً، يجب أن تأكلي بعض الطعام الساخن..».

«لست جائعة».

«بالطبع جائعة.. أنت جائعة دائماً.. أتذكري؟ لقد أمضيت وقتاً طويلاً في الغاب، عندما وجدتك كنت باردة

ومبللة.. ولم تـأكلي شيئاً منـذ الصباح. ولا بـد أنـك تتضورين جوعاً».

«كم الساعة الآن؟».

«بعد الثامنة».

«أي أن الظلام قد حل! والسيدة بلومر! يجب أن أعود الى الفندق».

ووضع ملعقة المرق بين شفتيها:

«مستحيل.. ليس قبل الغد.. هذا إذا جفت الطريق».

«أتعني.. أنني سأقضي الليل هنا؟ معك؟».

فضحك للتعبير الذي ظهر على وجهها:

«هذا صحيح.. ودون أن يكون معنا أحد إطلاقاً».

«أوه..».

«وبما أنك احتللت فراشي، فسأنام هناك».

وأشار بإصبعه الى فراش صنعه لنفسه قرب المدفأة.

«ولكن.. جاك.. ستقلق السيدة عليّ..».

«لا تهتمي.. فبعد أن وضعتك في الفراش، أرسلت رسالة مع أحد العاملين معي في قطع الأشجار والحطب.. ولقد عاد منذ قليل مع رسالة».

«إذن.. لن تقلق؟».

«لا أظنها سعيدة للوضع.. ولكنها لن تقلق».

ومع أنها سعيدة لأنهما معاً، ولو لوقت قصير، إلا أنها تعرف أن كل ذرة من كيانها تريد المزيد. صحيح أن جاك وجدها.. ولكنها تظن أن عاطفته لها هي مجرد عواطف صديق.. وهي تريد الأكثر.

وقال لها:

«كنت ستخبريني لماذا جئت الى هنا؟».

«أوه.. لا.. بل أنت من ستشرح الكثير من الأمور لي».

«أعلم.. ولكنني أريد سماعك أنت أولاً».

«أردت رؤيتك لإخبارك أننا عائدتان الى كندا بعد بضعة أيام. ولم أستطع السفر دون أن أقول لك أنني كنت مخطئة». «مخطئة بماذا؟».

«حول.. ولكن جاك، يبدو الأمر سخيفاً الآن! لقد عرفت من أنت..».

«إذا كان هذا سهل عليك، فلا تفكري بي كلويس.. لمجرد إكمال روايتك».

«حسناً.. لقد استمريت في الإصرار أن لا وجود للويس ترينشار.. وأن لا وجود لعالم غابات بهذا الإسم. وبعد فترة صدقت. ولكن عندها وجدت الميدالية».

«ميدالية دبي الثمينة.. كم كانت صدمة عندما واجهتني بها». وضحك..

«أما كان بإمكانك قول الحقيقة لي عندها؟».

«لا.. لم أكن مستعداً بعد.. وستفهمين كل شيء عندما أشرح لك».

«ولكنك كنت غاضباً».

«كنت أحاول تغطية صدمتي.. وظننتك جئت تتجسسين عليّ».

«لم أستطع ترك الأمور كما هي.. فكتبت لإدارة الغابات أطلب المعلومات.. فتلقيت رسالة تقول أنهم لم يسمعوا بالإسم».

www.elromancia.com

«أجل.. وعلمت أنني أسأت الحكم عليك.. وبدأت أفكر كيف وصلت الميدالية الى هنا.. وظننت أن لويس قد قام بفعلة شنعاء.. فلماذا جعلتني أحتار بأفكاري هكذا؟».

«لأنني كنت أريد التأكد من دوافعك. وكنت كذلك أريد معرفة أن سبب مجيئك اليوم ليس بسبب عدم ثقتك بي».

«أنا لم أفكر أبداً بعدم الثقة بك».

«عرفت هذا الآن، وكنت أرجو أن لا تكون معرفتي هذه متأخرة.. وأن لا تكوني غاضبة كثيراً مني.. ستيلا تفسيري للأمر فات استحقاقه الآن.. وسأقوله لك».

ونظر مفكراً في النار.. ثم قال:

«أظن أنني يجب أن أبدأ منذ يوم تركت وأمي القرية.. هل كنت يومها صغيرة ولم تفهمي معنى الضباب الذي تركنا فيه والدي؟».

«لم أفهم شيئاً، كل ما عرفته أن هناك محاكمة.. ولم أصدق أبداً ما قيل يومها».

«أوه.. كل شيء كان صحيحاً. ولم تكتشف أمي الأمر إلا بعد نشره في الصحف. ووقفت الى جانبه طوال المحاكمة.. ولكن فيما بعد.. كما تعرفين اضطررنا للإبتعاد.. لم نستطع البقاء في القرية».

«ولماذا؟».

«لأن حياة القرى لا تتسامح مع أمثالنا.. وكنا سنجد الكثير من الأصابع متوجهة لنا. وكلهم يعتقدون أننا متسخون بنفس القطران».

«وأين ذهبتما؟».

«الى «فانكوفر».. إنها مدينة كبيرة وعلى شاطيء

المحيط.. يزورها الكثير من الناس، ويعيش فيها الكثير. ولن يهتم بنا أحد هناك.. ثم مات والدي.. ولم أشاهده بعد المحاكمة. في يوم من الأيام التقت أمي برجل. وكان طيباً معنا.. ولم يبدو أنه مهتم بما فعل والدي وطلب الزواج من أمي. وكان إسمه روبرت ميتشل.. وتبناني وكان رائعاً معنا سوية.. ومنذ أن تزوج أمي أصبحت أدعى بإسم جاك.. وهو إسم جدي».

«لم أكن أعرف هذا».

«أفهمك ولكنك تغيرت.. لم أتعرف اليك.. حتى الآن أجد صعوبة في التصديق.. عيناك فقط.. لازالتا كما كانتا. ولكنني لم أعرف هذا سوى الآن».

«لقد حصلت لنا حادثة سيارة.. وقتلت أمي وروبرت وأصبت إصابات بالغة.. وجرت لي عمليات تجميل.. فلا عجب أنك لم تعرفيني. فقد تغيرت ملامحي كثيراً».

«وأثر الجرح في وجهك؟».

«حدث هذا في الغابة.. بسبب وقوع شجرة.. وهكذا ترين أن وجهي تغير كثيراً، ولبدا الأمر أكثر غرابة لو عرفتني».

«ولكن آل بينسون عرفوك؟».

«لا.. أنا من تحدث اليهم. فقد التقيتهم في الغابة، ولم يتعرفوا اليّ.. ولكنني كنت سعيداً لأن أرى شخصاً من موطني فسارعت للتعريف عن نفسي.. كان يجب أن تشاهدي ذهولهم!».

«ولكن يوم التقيت بك أول مرة.. أنا أقرب لك من آل بينسون فلماذا لم تقل لي؟ ألم تعرفني؟».

«عرفتك لحظة رفعت رأسك.. عندما رأيت هاتين العينين البنفسجيتين تنظران اليّ. عرفت أنني وجدت ستيلي».

«إذن فأنا لم أتغير؟».

«بلى.. تغيرت.. فهناك الآن هذه.. وهذه. إنها خطوط وضعها الحزن والعمل الشاق فوق وجهك.. أجل.. لقد تغيرت.. عندما كنت أعرفك كنت فتاة صغيرة.. وأنت الآن إمرأة ناضجة. ولكن عيناك.. شخص واحد أعرفه له عينان تشبه لون البنفسج والندى لا يزال فوقه..».

وتبللت عيناها بالدموع:

«أوه.. جاك!».

كلامه بهذه الطريقة يزيد الأمر سوءاً، ويجعل من الفراق الوتيد أمراً صعباً ومؤلماً.. وقال بلهفة:

«لا تبكي!».

«لست أبكي.. لماذا لم تقل لي من أنت.. ولو لم أسمعك تناديني بإسمي الطفولي وأنت تظن أنني فاقدة الوعي.. لما عرفت».

«لم أقل لك.. لأنني لم أرد للأمور أن تحدث هكذا».

«لست أدري عما تتحدث».

«ألا تدرين؟ يوم التقيتك أول مرة، صدمت، حتى أنني اختبأت وراء إسمي الجديد ومظهري الجديد. إحتجت الى وقت للتفكير.. ثم قررت ترك الأمور على ما هي عليه».

«ولكن لماذا؟».

«لأنني آمنت، أنك مهما كنت ستشعرين نحوي، يجب

أن يكون هذا نحوي أنا.. جاك ميتشل.. وليس لويس ترينشار.. الحلم».

«ولكنك لويس.. جاك ولويس شخص واحد».

«ليس بالنسبة لك.. لويس هو الصبي الذي تعرفينه منذ الطفولة وجاك هو الرجل المكتمل.. شخص مختلف تماماً».

«أعتقد أنني أفهمك.. ولو بغموض».

«لقد كنت مصممة على إيجاده «هو».. الطريقة التي استمريت فيها بقول هو، توحي بأن لي شخصيتان منفصلتان.. وكان عليّ التأكد.. ألا تفهمي هذا يا ستيلا».

فتنهدت:

«أتمنى لو كنت أعرف».

«حقاً؟ وماذا عن براين.. لقد رأيت الطريقة التي رقصت فيها معه.. وكيف قبلك».

«قبلني ليثير غيرتك.. ثم.. ماذا عن نيل؟».

«وما شأنها نيل؟».

«لم تكن سعيدة لمقابلاتنا. فظننت . ربما..».

«إنها فتاة جميلة.. وأنا أحس بالوحدة هنا. وهكذا كنا نمضي أوقاتنا معاً.. وهذا أمر طبيعي. ولكنها لا تعني لي أكثر من رفيق ممتع. ولا حاجة لتقلقي حولها.. فبراين لا يزال أمامه وقت طويل هنا.. وسيمضيانه معاً».

«جاك.. لماذا قلت لي الآن من أنت.. ماذا تغير..؟».

«لقد دعوتني بأسماء مختلفة.. وقلت لي أشياء

محددة».

«وما هي هذه الأشياء».

فضحك بخبث:

«ستيلا.. ألم يقل لك أحد من قبل أنك تتحدثين خلال نومك؟».

ورفعت يدها على فمها بفزع:

«صحيح؟ هل كنت أتكلم وأنا نائمة؟».

«صحيح يا ستيلي!».

«وماذا قلت؟».

«سأقول لك يوماً ما».

فتوسلت اليه:

«الآن!».

«لا».

«متى إذن؟».

وبدأ بالمزاح، ولكن في عينيه نظرة جعلت قلبها يقفز من مكانه:

«ما رأيك.. ليلة زفافنا؟».

«أوه.. جاك.. جاك!».

وأخذت الدموع تتساقط على وجهها وهو يلف ذراعاه حولها وتابعت:

«إنني مسافرة.. يجب أن أعيد السيدة بلومر الى الوطن.. وهذا أحد أسباب مجيئي الى هنا.. لأودعك».

«ولكنك ستعودين».

فهمست وفمها مدفون على صدره:

«أتريدني حقاً أن أعود؟».

وأخذ يمرر فمه على وجهها:

«أحبك ستيلي.. أحببتك وأنت طفلة.. ووقعت في حبك لحظة شاهدتك في الغابة».

«أوه.. جاك!».

أحست وكأنما السعادة أكثر من أن تتحملها.

وعانقها.. كما حلمت دائماً أن تكون بين ذراعيه:

«هل ستعودي؟ ألن تحسي بالوحدة هنا؟».

«لا يمكن أن أكون مستوحدة وأنا معك، يا حبيبي.. في أي مكان من العالم».

جاك.. هو عالمها.. جاك هو الجبال الغابات والسواقي والأنهار.

فماذا تطلب الفتاة أكثر من هذا؟